مواجهة المستشرقين

بين

رد الفعل السلبى

وبين

الفعل الايجابى

تاليف

الدكتور /الدكتور محمد سيد احمد عامر

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد.

فإن الإستشراق كان ومايزال يشكل الجذور الحقيقيه التى تقدم المدد للتنصير والإستعمار، والعاله الثقافيه ويغذى عملية الصراع الفكرى فالإستشراق هو المنجم، والمصنع الفكرى الذى يمد المنصّرين والمستعمرين ، وأدوات الغزو الفكرى، بالمواد التى يسوّقونها فى العلم الإسلامى، لتحطيم العقيده، وتخريب عالم أفكاره، والقضاء على شخصيتة وإذا به هويته.

لقد أكتفينا نحن المسلمون "المحدثون" بمواقف الرفض والإدانه للإستشراق والتنصير، اكتفينا بالانتصار، والإنحياز العاطفى للإسلام، وخطبنا كثيرا وانفعلنا أكثر، ولم تعل إلا أصواتنا،ولانزال نحذر من الغارة على العالم الإسلامى، القادمه من الشرق والغرب ومن المخططات الصهيونيه المآكره والصليبيه الحاقده.

لقد أصبح ذلك يشكل عندنا مناخاً ثقافيا، وإرثاً فكريا وطريقا أمثل للشهرة دون أن تكون عندنا القدرة على إنضاج بحث ذى قيمة فى الموضوع، أو إيجاد خطة أو وسيلة مدروسة فى المواجهة، أو محاولة جادة لتقديم البديل الصحيح للسيل الفكرى، والثقافى، والإعلامى، والأكاديمى القادم من هناك، إلا ما رحم الله من جهود فردية تمثل إضاءات وومضات على الطريق، كما أنها تمثل فى الوقت ذاته إدانات لهذا الفراغ والعجز، والتخاذل والفكرى.

وكان من ثمرة ذلك :-

أننا سوّقنا لأفكار المستشرقين عن حسن نيه، وعملقنا أشخاصهم دون حسابات دقيقه للأثار السلبيه على أكثر من صعيد، لما يترتب على ذلك، لأنه يكفى أن يلقى إلينا ببعض التشكيكات ، ليستثيرنا ويحول جهودنا وطاقاتنا إلى تلك المواقع الدفاعيه، لينفرد هو بالتخطيط لتحقيق أهدافه،

وكلما حاولنا أن ننتبه، ينتقل بنا من مشكلة - شبهة إلى أخرى فنبقى دائما فى مجال رد الفعل ونعجز دائما عن الحل، ذلك أن رد الفعل يملكنا بينما نحن- فى الحقيقة- نملك المواجهة.

ولنا في منهاج القرآن الكريم خير دليل.

فلو أن القرآن الكريم استجاب لكل شبه الكافرين وشكوكهم، لكانت آياته جميعاً تمثل رد الفعل، والإستجابة لطلبات الكافرين، ولما تفرغ لبناء أمة وإنشاء حضارة، فواجه وأسس وهدم وبني.

إن الذي نلمحه من منهاج القرآن الكريم في ذلك، أنه طرح من الحقائق والأدلة ما يكفي لمن يريد الإستدلال على بطلان شبهه، لأن المشكلة لم تعد في الدليل، وإنما بعناد المستدل الذي لابد من تجاوزه إلى مرحلة البناء المرصوص بحيث لا يوجد بعد ذلك مداخل وفراغات يملؤها الأعداء، لقد واجه القرآن الكريم الباطل بكل جوانبه وتجاوزه إلى بناء أمة مع إيجاد البديل والدعوتين والإستمرار إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

لقد نجحت العقلية الأوربية الإستشراقية إلى فرض شكليتها وآليتها على التحقيق والنشر، والسيطرة على مصادر التراث العربي الإسلامي، وعن طريق الإستشراق والمستشرقين، بادرت إلى التحقيق والطبع والنشر لمجموعة من أكبر وأهم المصادر التراثية، وعلى الرغم أن بعض هذه الدراسات كانت تقترب إلى حدما – من صفة النزاهة إلا أنها في النهاية وبكل المقاييس تبقي مظهراً من مظاهر الإحتواء الثقافي.

وحتي نكون في مستوى الحوار الفكرى، والتبادل المعرفي، ونوقف فعلاً الغزو الفكري، والإغراق الإستشراقي – لابد لنا – بدل البكاء على الأطلال والإكتفاء بجرعات الفخر والإعتزاز بالماضي، أن نكون في الوقت نفسه – قادرين على امتلاك الشوكة الفكرية، أن نكون قادرين على الإنتاج الفعلي لمواد ثقافية تمثل ثقافتنا، وتأتي استجابة لها، وتقوي الناس بها، وبذلك وحده نكون في مستوى الحوار والتبادل المعرفي.

إن المواجهة لا تكون بإدانة الآخرين، والنظر إلى الخارج دائماً، وإنما نبدأ حقيقة من النظر إلى الداخل أولاً لملأ الفراغ، بعمل بنائي مستمر، وتحصين الذات وتسليحها بالمقاييس الثقافية السليمة، وإنتاج مناهج، وآليات للفهم تأتي وليداً شرعياً لثقافتنا[1].

ومن هنا جاءت هذه الدراسة – وإن كانت موجزة ومركزة – إلا أنها فتحت الباب لنغير بها – وما على مثلائها، من رد الفعل السلبي الذي نعشقه إلى الفعل الإيجابي الذي نبتغيه ونريده.

والله من وراء القصد، د/ محمد سيد أحمد عامر

القاهرة المحروسة، المرج المعمورة.

يوم الجمعة يوم الإسراء والمعراج ٢٧ رجب ١٤٢٠هـ ١٩٩٩/١١/٥م.

[1] انظر مقدمة كتاب المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي صـ ٣٠٠٧ . . . . للشيخ العلامة عمر عيد حسنة والكتاب تأليف أ.د / عبدالعظيم الديب.

المستشرقون و القرآن الكريم

سنتناول في هذه القصتين عدة نقاط :

تعريف القرآن الكريم، بيان خصائصه، بيان شبهه المستشرقين حول القرآن الكريم

١. تعريف القرآن الكريم

هو كلام الله المعجز، المنزّل على النبي صلي الله عليه و سلّم، المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته.

٢. خصائص القرآن الكريم

للقرآن الكريم خصائص كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر: -

١) هو كلام الله القائم بذاته تعالي و ليس كلام البشر.

٢) كونه معجزاً و معناه : هو الذي لا يستطيع البشر تقليده أو الإتيان بشئ يشبهه.

٣) كونه منزّلاً على النبي صلي الله عليه و سلّم بواسطة الأمين جبريل.

٤) كونه مكتوباً في المصاحف، لأن الصحابة رضي الله عنهم – بالغوا في الإحتياط في نقله.

٥) نزوله منجماً أي متفرقا : -

١. لتثبيت فؤاد النبي صلي الله عليه و سلّم و تقوية قلبه.

٢. التدرج في تربية الناشئة علماً وعملاً.

٣. مسايرة الحوادث و الطوارئ في تحددّها و تفرقها.

٤. الإرشاد إلى مصدر القرآن الذى هو الله وحده و ليس مخلوقاً سواه.

٦) فنقل إلينا بالتواتر، لأنه بهذا الصفة يستحيل فيه الكذب أو النسيان أو الغفلة وقد تواتر الصحابة على نقله عن الرسول صلي الله عليه و سلّم حتي وصل إلينا صحيحاً خالياً من الخطأ والتدليس والتبديل.

٧) متعبد بتلاوتة يثاب المسلم أو يعاقب طبقاً لتصرفاته لأحكام القرآن الكريم بامتثال أوامره و الإمتناع عن نواهيه.

٨) إخباره بالغيب فهو يحتوي على أخبار و تاريخ الأمم السابقة التي لا نعلم أحوالها، كذلك أحوال الأمم و عبادتها، و الأنبياء و المبعوثين لها، و تصرفاتهم تجاه أولئك الرسل، كما يخبرنا عن كثير من الأمور المستقبلية التي لا نزال نجهلها.

٩) ومن خصائص القرآن الكريم أن بعضه نزل بمكه و بعضه نزل بالمدينة ويمتاز كل نوع بخصائص فنية و لفظية و علمية.

وكان هذا الموضوع مثار شبهات المستشرقين و أحد المطاعن التي حاولوا الطعن بها في القرآن الكريم و سنورد هذه الشبهه ونرد عليها.

١٠) احتواء القرآن الكريم على الآيات الناسخة والمنسوخة، وهذه الخاصية لها أهميتها البالغة لأن :

المستشرقين طعنوا في القرآن بهذه الشبهة و حاولوا النيل من قدسيته، فعدوه من صنع البشر الذين يعدّلون أحكامه طبقاً للحوادث والظروف، ورأوا أنه لو كان من عند الله ما اعتراه النسخ والتبديل لأنه يعلم طبيعة البشر ابتداء، وهي مطاعن هامة سنرد عليها في حينها.

١١) و من خصائص القرآن الكريم احتواؤه على آيات محكمات وأخر متشابهات.

طعن المستشرقون في هذه الخاصية القرآنية مطاعن عدو منها : -

- ما الحكمة من إنزال المتشابه حينما أراد الله لعباده البيان و الإرشاد؟
- ما الحكمة من الآيات المتشابهات التي لا يعلمها إلا أولو العلم و العرفان؟
- اختلاف تأويل المتشابهات التي تقود إلى مجادلات كلامية تأثر على العقيدة الإسلامية من أساسها.

- الغموض والإبهام الذي قد ينتج عن تفسير هذه الآيات و الذي يؤدي إلى تفرقة الأمة.

هذه أهم خصائص القرآن الكريم، و قد تعرض لها المستشرقون بحثاً ودراسة، و أوردوا عليها مطاعن عدة، حالوا من خلالها التشكيك في صحف القرآن الكريم وقدسيته وصدوره عن الله، وحالوا الطعن في جمعه وكتابته وحاولوا نفي إعجازه ومعرفته بالغيب ماضياً و مستقبلاً، و حالوا إيراد مصادر عديدة له قسموها بين المصادر الخارجية و الداخلية، وأجهدوا أنفسهم في تلمس هذه المصادر وإعادة الأحكام القرآنية إليها، و حاولوا التشكيك في صحة أسلوبه وعظمة بيانه.

هذه القضايا مجتمعة سنشير إليها محاولين إيراد شبهات المستشرقين عليها، ثم نورد الرد عليها طبقاً لأدوات البحث الإسلامي.

ونود أن نشير إلى أن شبهات المستشرقين التي سنشير إليها حول القرآن الكريم لا يجمعها مصدر علمي واحد و إنما وجدت متناثرة و متفرقة في العديد من المراجع و المباحث[1].

مما سبق يتضح لنا ما يأتي :-

١. المستشرقون وترجمة القرآن الكريم.

٢. المستشرقون ومصادر القرآن الكريم وسنتناول هذه كنموذج فقط، نظراً لأهميتها و إذا ثبتت ثبت كل ما عداها.

٣. المستشرقون والوحي الإلهي.

٤. المستشرقون وجمع القرآن وترتيبة وكتابته

٥. المستشرقون وقضية نزول القرآن على سبعة أحرف.

٦. المستشرقون والقرآن المكي والمدني.

٧. المستشرقون ومعضلة النسخ القرآني.

[1] انظر الظاهرة الإستشراقية ج١ /٣٠٧ د. سامى الحاج مركز دراسات العالم الإسلامي ط٢- ١٩٩٣

المستشرقون ومصدر القرآن الكريم

يعتقد المسلمون اعتقاداً راسخاً، و يؤمنون إيماناً صادقاً عميقاً بأن مصدر القرآن الكريم هو الله تبارك وتعالى الذي أنزله على سيدنا محمد صلي الله عليه و سلّم مدة البعثة النبوية.

وهذا الإيمان الراسخ من الأمور التعبدية الإعتقادية التي لا مجال للشك فيها.

أما المستشرقون فهم لا يؤمنون بالمصدر الإلهي للقرآن الكريم، وحاولوا بكل السبل أن يتلمسوا العديد من المصادر و أجهدوا أنفسهم للحصول عليها وتبريرها لإرجاع مصادر القرآن الكريم إلى :-

أولا : عوامل داخلية

ثانياً : عوامل خارجية

وحالوا البرهنة عليها ما استطاعوا فلم يفلحوا.

وسنتناولها فيما يأتي :-

أولاً : عوامل داخلية :

أي أن القرآن مستمد من أعراف الجاهليين ودياناتهم، و من أوامر أولي الأمر، و من أحكام ذوي الرأي و المكانة العالية بين أقوامهم.

١. القرآن من صنع محمد استقاه من نفسه "عامل نفس" "إبحار نفس".

يقول المستشرق المجري جولد تسهير : "إن الرسول خلال النصف الأول من حياته اضطرته مشاغلة إلى الإتصال بأوساط استقي منها أفكاراً أخذ يجترها في قرارة نفسه وهو منطو في تأملاته أثناء عزلته"[١].

واختلطت هذه الأفكار بما يلاحظه من قساوة الحياه، واضطهاد الفقراء، و طغيان الأغنياء بمكة، فتملكه شعور بأن الله يدعوه بقوة تزداد شيئا فشيئا ليذهب إلى قومه منذراً إياهم بما

[١] العقيدة و الشريعة في الإسلام جولد تسهير ص ١٣ ترجمة أ/ محمد يوسف معوض ط (٢) الناشر دار الكتاب الحديث بمصر، مكتبة المغني بغداد بدون تاريخ

يؤدي إلى ضلالهم من الخسران المبين، أي أنه أحس بقوة لا يستطيع لها مقاومة تدفعة إلى أن يكون مربياً لشعبه أي "منذره و مبشره"[١].

٢. القرآن الكريم مصدره فقه الجاهليين المكيين و فقه المدنين، فقه مكة والمدينة أي أعراف الجاهليين.

ذكر جولد تسهير أن الإسلام أقر بعض فقه الجاهليين و أحكامهم، مما لم يتعارض مع مبادئ الإسلام فأخذ "محمد" على رأيه من قوانين أهل مكة أحكامها وأخذ من فقه أهل المدينة فقهها[٢].

٣. المصدر الرئيسي للقرآن الكريم هو شعر أمية بن أبي الصلت، و أمرئ القيس

ذهب المستشرق الفرنسي "كليمان هوار" إلى أن المصدر الرئيسي للقرآن الكريم هو شعر أمية بن أبي الصلت، للتشابه الكبير بينهما في الواحدانية ووصف الآخرة، و قصص أنبياء العرب القدماء.

وزعم هذا المستشرق أن المسلمين قد محوا شعر أمية وحرموا إنشاده ليستأثر القرآن بالجدة، و ليصبح النبي هو المنفرد بالوحي الإلهي[٣].

وذهب المستشرق "بور" مذهب "هوار" حيث ذكر أنه حيث يوجد تشابه بين شعر "أمية" و القرآن، فإن ذلك يدل أن الرسول أخذ من "أمية"، لأنه أقدم من الرسول[٤].

وأورد المستشرق "تسدال" شبهات الناقدين لمصدر القرآن الكريم واتهامه في مصدره الإلهي منها أبيات منسوبة إلى " أمرؤ القيس" وتحتوي على بعض التعبيرات القرآنية مثل :-

---

[١] المرجع السابق نفسه ص ١٥.

[٢] انظر المفصل في تاريخ العرب في الإسلام د/حواء على، جـ ٤٨٣/٥ دار العلم للملايين بيروت – لبنان ط/.

[٣] انظر ديوان أمية بن أبي الصلت جمع وتحقيق ودراسة د/ عبدالحفيظ السكلي ص ٢٧ ط ٢ بتصرف

[٤] مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، جـ١ ، ٣٤ - ١٩٧٧

دنت الساعة و انشق القمر عن غزال صاد قلبي و نفر

أحور قد حرت في أوصافه ناعس الطرف بعينيه حور

بسهام من لحاظ فاتك تركتني كشهيم المحتظر

٤. مصدر القرآن الكريم استقاه محمد من ملازمته لورقة بن نوفل.

٥. مصدر القرآن الكريم استقاه محمد من بحيرة الراهب.

٦. مصدر القرآن الكريم استقاه من بعض اليهود و النصاري المقيمين بمكة[١].

هذه بعض الأدلة التي دلل بها المستشرقون على أن القرآن الكريم ليس مصدره إلاهياً ولكن مصدره بشري من صنع محمد استقاه من العوامل الدخلية التي سقناها.

مواجهة دعاوي وشبه المستشرقين (تخرصات المستشرقين)

من مجموع الأراء السابقة وغيرها التي لم أشر إليها نستنتج أن المستشرقين يرجعون مصدر القرآن الكريم إلى عاملين رئيسيين.

أحدهما داخلي وهو مستمد من أعراف الجاهليين ودياناتهم ومن أوامر أولي الأمر، ومن أحكام ذوي الرأي والمكانة العالية بين أقوامهم.

الآخر خارجي وهو مستمد من تعاليم الديانتين اليهودية والمسحية.

آن الآوان الآن لنواجه العامل الداخلي :-

١. مواجهة استمداد محمد – القرآن من العرف الجاهلي

يجب علينا في هذه المواجهه التوجه إلى مصادر الفقه الجاهلي، حتي نعقد مقابلة بينها وبين التعاليم الإسلامية لنري مدي التطابق والإختلاف بينهما ونحكم بالتالي على صحة دعاوي المستشرقين من عدمها.

[١] الظاهرة الإستشراقية ط١ ص ٣٢.

نقول هذا وإن كنا لانتردد في القول منذ البداية ونجزم أن الإسلام قد استقي العديد من أعراف الجاهلية وتنظيماتهم الصالحة و ألغي الفاسدة منها، لأنها منقولة إليهم من شريعة أبيهم سيدنا إبراهيم الخليل و الإسلام شرّعها تشريعاً جديداً - و هذا لا غضاضة فيه - وهذا الحكم بالتالي لا يدل إطلاقاً على بشرية القرآن الكريم لأن القضية أبعد من ذلك وأشد تعقيداً.

ذلك أن مصادر الفقه الجاهلي هي :-

١) العرف :

و هو ما تعارف عليه الجاهليون من تصرفات استقرت في قلوبهم و تلقوها بالرضي والقبول، وأصبح لزاماً عليهم اتباعها، والتقيد بأحكامها.

كان العرف الجاهلي هو المصدر الأساسي للتشريع في الجزيرة العربية كما كان مصدراً أساسيا للتشريع في أصقاع كثيرة من (العالم، ولا يزال للعرف هذه المكانة التشريعية حتي يوم الناس هذا، و إن كان قد تقهقر مفسحاً للتشريع الأولي في هذا المجال).

إن العرف الجاهلي هو الذي ينظم العديد من المسائل التشريعية، ولا يزال يطبق حتي اليوم في بعض القبائل العربية في فض المنازعات التي تقع بين أفرادها، بل إن بعض مصطلحات العرف الجاهلي مازالت باقية إلى الآن في العديد من الأصقاع العربية وهي أعراف صالحة أبقي عليها الإسلام ضمن ما أبقي من أعراف صالحة بعد أن ألغي الفاسد منها.

٢) المصدر الثاني للفقه الجاهلي – التعاليم الدينية

ونقصد بها ما كان يدين به أكثر الجاهليين من شريعة التعبد للأوثان والتقرب إلى الأصنام، فقد وضع سدنة المعابد والكهان أحكاماً لأتباعهم على أنها أحكام ملزمة لكون مخالفها في حكم المخالف للعرف[١].

٣) المصدر الثالث للفقة الجاهلي

[١] انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د/جواد على جـ٥/٤٧٠ وما بعدها بتصرف.

أراء أولي الأمر والحكام ذوي الرأي والمكانة من الأوامر والتعليمات الصادرة على ملوك وسادات ورؤساء القبائل العربية وهم يحملون صفتي التشريع والتنفيذ، وكثيراً ما تنظم هذه الأوامر الأمور التجارية.

أما أحكام ذوي الرأي و المكانة فلها المكانة اللائقة في تنظيم أمور الجاهليين لما لهؤلاء الناس من رأي سديد، ومقدره عالية في استنباط الأحكام وفض المنازعات والخصومات ونحن لا نستطيع التعرض إلى الأحكام التي قررتها هذه المصادر مجتمعة ثم مقابلتها بالأحكام الإسلامية لإستنتاج التطابق والإختلاف بينها، لأنه موضوع طويل يخرج عن مقصودنا. . . ولكن لا بأس من إيراد :-

- نماذج منها لنري مدي تأثر الإسلام ببعض هذه الأحكام، لندخل على سبيل المثال بعض الأحكام التعبدية وبعض المعاملات المتعلقة بالأحوال الشخصية.

- العبادات . . يذكر الأخباريون أن قريشاً كانت تصوم يوم عاشوراء وأن النبي كان يصومة في الجاهلية أيضاً، وعندما هاجر إلى المدينة استمر في صيامه له، وأمر أصحابه بصيامه حتي أول السنة الثانية للهجرة حينما فرض الصيام يوم عاشوراء اختياراً.

هذا المثال يتجلي في اتباع النبي لبعض شعائر الجاهليين ثم إبطاله له، أو تركه اختياراَ بعد أن تغيرت أحكام الصيام ومدته وشرائطه.

. . من شعائر الجاهليين التي أقرها الإسلام الإختتان، الإغتسال من الجنابة، وتغسيل الموتي وتكفينهم.

. . لو درسنا الحج و العمرة لوجدنا إبقاء الإسلام على بعض شعائرهما و إلغاء بعض منها لتناقضها وأحكامه[1].

نماذج من المعاملات : إذا انتقلنا من العبادات إلى المعاملات وجدنا أن العديد منها كانت معروفة في الجاهلية، وأبقي الإسلام عليها، وعدل الفاسد منها وأبطلها.

[1] انظر بالتفصيل جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام جعفر محمد بن جريري الطبري ت ٣١٠، ج٢/٢٩٠ وما بعدها المسألة برمتها ط ٣ سنة ١٣٨٨ هـ سنة ١٩٦٨م. شركة مكة ومطبعة الحلبي.

لو اتخذنا الأحوال الشخصية كمثل على ذلك لاتضحت لنا القاعدة التي طالما ذكرناها كثيراً وهي إبقاء الإسلام على العادات والأعراف الصالحة و إلغا ء الفاسد منها.

كان الجاهليون يحرمون زواج الأب من أبنته، الجد من حفيدته، والأم من أبيها، والجدة من حفيدها، والأخ من اخته مراعاة لعلاقة الأصل بالفرع.

وتري هذه القاعدة من تحريم ابنة الأخ وابنة الأخت ولكنهم كانوا يجمعون بين الأختين و يستخلف الرجل على امرأة أبيه، و هو نكاح المقت، فأقر الإسلام تحريم زواج الأقارب، وحرم الجمع بين الأختين واستخلاف الرجل على زوجة أبيه، قال الله تعالي " وَلاَ تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً * حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً"[1].

وهكذا في الزواج والطلاق والإرث.

هذه أمثلة تتعلق بالعبادات والمعاملات، وجدت في الجاهلية فأقر الإسلام بعضها و ألغي الآخر.

ومن هذا الإقرار استند المستشرقون إلى أن النبي صلي الله عليه وسلّم قد استقي معلوماته وأخباره، وأحكامه المتمثلة في أوامره ونواهيه من هذه القوانين العرفية التى وجدها في بيئته، فتأثر بها، وضمها إلى كتابه الذي ألفه، وفي سننه وأحاديثه التي أذاعها على أصحابه وأصبحت جزءا رئيسياً من تشريعاته.

إننا لا ننكر وجود مثل هذه الأحكام و القوانين الناتجة عن أعراف الجاهليين في التشريع الإسلامي. ولا يضير الرسول صلي الله عليه وسلّم الإبقاء على القوانين الصالحة سواء تلك المنظمة للعبادات أو المعاملات طالما كانت هذه الأحكام تتناسب وفلسفة التشريع الإسلامي لتحقيق مقاصده التي أُنزل من أجلها ولا يمكن أن نستنتج من الإبقاء عليها تأثر الرسول بها باعتبارها أموراً استمدها من بيئته ولم يوح بها الله إليه بها في محكم كتابه، ولو كان الأمر خلاف ذلك لأبقي على سائر القوانين

[1] سورة النساء آية رقم ٢٢، ٢٣

والأعراف الجاهلية و لما حرم بعضاً منها وأباح بعضها ولكن التشريع يراعي دوما مصالح الناس والعباد التي شرعت الأحكام لمصلحتهم. فتبقي الأحكام الصالحة، وتبطل الأحكام الفاسدة لتعارضها ومصلحة الجماعة.

ولا يمكننا التسليم من خلالها بشبهات المستشرقين من أن الإبقاء عليها وإقرارها يعني تشكيلها لمصادر القرآن الكريم والأحكام الإسلامية المنبثقة من مصادر التشريع الأخري، والتي استشفوا من خلالها بشرية القرآن الكريم و إنكار ألوهيته.

٢. الرد على دعوي استقاؤه القرآن من الحنيفية :

أما ما ذهب إليه "كليمان هوار" وأصحابه من أن مصدر القرآن الكريم من الحنفيين الذين يؤمنون بالله الواحد.

إننا نري أن هذه الحجة لا تصمد أمام النقد العلمي الجاد.

وبيان ذلك :

أن الحنفاء، وهم تلك الجماعة من العرب التي لم تعبد الأصنام، واعتقدت بواحدانية، ولكن لم يستطيع أحد من الباحثين، القدماء منهم أو المحدثون، أن يبين شرائعهم ويحدد معتقداتهم ولا يدري أحد تصورهم لخالق الكون، والحياه بعد الموت.

وذهب المفسرون المسلمون مذاهب شتي في تأصيل هؤلاء الناس، وبيان عقائدهم ولم يجمعوا على رأي معين حولهم، الأمر الذي زاد شأنهم غموضاً ولبسا. وإن كان ملخص أرائهم لا يخرج عن أربعة أشار إليها ((الإمام الرازي)) في تفسيره الكبير و أول هذه هذه الأراء أنها حج (البيت) عن ابن عباس والحسن ومجاهد، ثانيها أنها اتباع الحق، عن مجاهد، وثالثها أنها اتباع ابراهيم فيما أتي الشريعة التي صار بها إماما للناس بعده من الحج والختان وغير ذلك من شرائع الإسلام، ورابعها أنها الإخلاص لله وحده والإقرار بالربوبية و الإذعان للعبودية[١].

[١] التفسير الكبير فخر الدين الرازي للإمام محمد الرازي فخر الدين عن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الزي جـ٤٩٢/١ – دار الفكر – بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨ م

إن عقيدة الحنفاء غامضة وبخاصة فيما يتلعق بوجود الله ووحدانيته وليس هناك كتاب معين يتبعون أحكامه، كما أن تصرفاتهم يغلب عليها الطابع الخلقي أكثر من الطابع الديني.

وقوم هذه هي عقائدهم المضطربة لايمكن أن تكون أحكامهم وتصرفاتهم من المصادر الرئيسية للقرآن الكريم الذي يحتوي على تعاليم وأحكام واضحة، جلية، لا لبس فيها ولا غموض، شرعت لتنظيم الإنسانية جمعاء في عبادتها و معاملاتها.

ولا يمكن الركون إلى أراء من أعتقد أن المجتمع العربي كان متديناً قبل الإسلام من خلال هذه الجماعة الغامضة ولا يمكن تصديق ما ذهب إليه "رينان" من أن الوحدانية كانت قائمة في الجزيرة العربية قبل مبعث النبي صلي الله عليه وسلّم، وأن ما جاء به محمد "ليس إلا امتداد للحركة الدينية التي كانت سائده في عصره" وهي حركة الحنفاء ذلك :-

أولاً : إن تعاليم الحنفاء تتميز بالغموض والإبهام.

ثانيا : كانوا قليلي العدد بحيث لم يكن لهم التأثير الكبير على البيئات التي كانوا يعيشون فيها.

ثالثاً : أن بعضاً منهم مثل "أبي عامر بن صيفي" المعروف بالراهب، وأمية بن أبي الصلت "قد قاوما الدعوة الإسلامية بالسيف والقلم إذ لو كانت عقائدهم مما تضمن القرآن الكريم لما عارضوه[1].

٣. مواجهة دعوى أن مصدر القرآن الكريم شعر أمية بن أبي الصلت :

إن ادعاء "كليمان هوار" و "توره" من أن أحد مصادر القرآن الكريم هو شعر أمية بن أبي الصلت فهو إدعاء لا يسنده أساس علمي صحيح، ولا يرتكز على قاعدة علمية لا يمكن دحضها.

ذلك أنه : -

لا يمكن أن نستنتج صحة شعر هذا الشاعر لمجرد وجود فروق بين ما جاء فيه وما جاء في القرآن الكريم من تفصيل بعض القصص، ولا نتنهي أبداً إلى تلك النتيجة التي أرادها المستشرقون من أن صحة شعر أمية يستلزم أن يكون النبي قد استعان به قليلاً أو كثيراً في نظم القرآن، كما أن صحة

[1] انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام جـ٦، ٤٥٠ وما بعده

هذا الشعر واستعانة النبي به في نظم القرآن قد حملتا المسلمين على محاربة شعر "أمية" ومحوه ليستأثر القرآن بالجدة، وليصبح أن النبي قد انفرد بتلقي الوحي من السماء.

نعم إن شعر أمية ملئ بالحكم والمواعظ الدينية، وهي أراء قريبة جداً من الإسلام[١]، كما أنه ملئ بقصص الأنبياء، وبوصف يوم القيامة والجنة والنار، ولكن كيف حدث التشابه بينه وبين القرآن الكريم؟ فهل تأثر أمية بالقرآن وأخذ عنه؟ أو أخذ القرآن من "أمية" أو أخذ الأثنان أمية والقرآن من مصدر ثالث وهو الكتاب المقدس بقسميه القديم والحديث.

ومن هنا نكون أمام فروض ثلاثة يجب علينا تحليلها للبرهنة على هذا التشابه :

١. أما عن الفرض الأول، وهو تأثر أمية بالقرآن فإن الأمر يقتضي معرفة توراريخ شعر "أمية" وتعيين أوقات نظمه، وحصر المدة الزمنية التي قال فيها شعره، بحيث لا تتعدي السنة التاسعة للهجرة لوفاته خلالها انتهاء، ولا تشمل الفترة السابقة للبعثة ابتداء، ومن الصعوبة بمكان تحديد الشعر الذي قاله "أمية" قبل البعثة و إبانها حتي السنة التاسعة للهجرة ويصبح هذا الإفتراض باطلاً[٢].

٢. أما بالنسبة للإفتراض الثاني، وهو تأثر القرآن الكريم بشعر "أمية" فهو افتراض من الصعب اتباعه هو الأخر، إذ لو كان الأمر كذلك لما سكتت عنه قريش، وهم الذين اتهموه مرارا باستقاء معلوماته من غلام نصراني اسمه "جبر" والذي أشار إليه القرآن الكريم صراحة بقوله "ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه"[٣].

---

[١] انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام "أجواء على" جـ٦/٤٨٩١ بتصرف

[٢] انظر المرجع نفسه جـ٦/٤٩٠١ بتصرف

[٣] سورة النحل الآية ١٠٣

٣. أما الإفتراض الثالث، والقاضي بأخذ الأثنين معاً أمية والقرآن من مصدر ثالث وهو الكتب اليهودية والمسيحية وتفسيرها، فإنه يرد عليه بنفس الحجة الداحضة للإفتراض الثاني وهو عدم سكوت قريش على هذا، وهم قد أجهدوا أنفسهم في تلمس مصادر النبي التي افترضوها في المسيحيين الموجودين بمكة، ثم إن هذا التشابة ليس من نوع ما يحصل عن أخذ شخصين مستقلين من مورد معين وإنما هو من قبيل ما يحدث من اعتماد أحد الشخصين على الأخر، بدليل ورود أمور في القرآن الكريم لم ترد في التوراة أو الأنجيل ولكنها وردت في شعر أمية، يضاف إلى ذلك تلك الشكوك التي تحوم حول صحة شعر "أمية" ذاته وبخاصة أن الناقدين له أثبتوا إنه متحول متكلف نظم العصر الإسلامي[١].

٤. مواجهة دعوي من أحد مصادر القرآن الكريم هو تأثر الرسول بورقة بن نوفل وملازمته له واستقائه منه.

وإذا حللنا رأي من يقول بتأثر النبي بورقة بن نوفل الذي وصفه بعض المستشرقين من أن السر الكبير في ثقافة محمد الكتابية والإنجيلية ترجع إلى وجود هذا العالم المسيحي ابن عم السيدة خديجة وهو الذي زوجها إياه وأن الآثار قد أجمعت على أنه قد تنصر وترجم التوراة والإنجيل إلى العربية، وعاش محمد في جواره خمسة عشر عاماً قبل مبعثه، وبواسطته حصل على معظم معلوماته ومعارفه[٢].

لوجدنا أن هذه الرواية لا تستقيم وما أوردته المصادر الإسلامية التي أجمعت مع التفاسير المختلفة، وكتب الأحاديث المعروفة، أنه قرأ الكتب، وعُد من جملة المتنصرين، ومات علي دينها وأشارت هذه المصادر جميعاً إلى مجئ السيدة "خديجة" إليه برفقة النبي بعد نزول الوحي عليه بغار حراء وسؤاله عن رأيه فيما رآه، وجواب "ورقة" عنه مع تمنيه أن يكون حياً عندما يخرجه قومه لينصره نصراً مؤزراً، ووصفه لما نزل عليه "بالناموس الأكبر" الذي نزل على من كان قبله من الأنبياء.

---

[١] انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د/ جواد على ج ٦ حـ ٩٥ بتصرف شديد

[٢] انظر منهاج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية جـ ٣٧/١ بتصرف شديد

لكن هذه الأخبار لم تذكر اسلام ورقة واعتناقه المبادئ الإسلامية باستثناء رواية ضعيفة انفرد بها المسعودي دون سواه من المؤرخين الذي يزعم أنه مات مسلماً و أنه مدح النبي[1] ، لأدركنا الشك في جميع هذه الروايات.

إذ لا يعقل أن يكون ورقة أستاذاً للنبي قبل مبعثه ثم يأتي إليه النبي بعد نزول الوحي عليه للمرة الأولي لإستشارته فيما حصل له من رؤيا ويتنبأ له ورقة بأن قومه طاردوه من مسقط رأسه، وأنه لو يدرك ذلك الزمان فسينصره نصراً مؤزراً، ويبقي ورقة على قيد الحياه سنين، وتنتشر الدعوة الإسلامية رويداً رويداً، ثم يموت دون أن يعتنقها. كيف تستقيم هذه الرواية من أساسها إذا افترضنا أن ورقه هو الذي هيأ النبي للدعوة الإسلامية وأمده بمعارفه ومعلوماته لنشر دينه الجديد، ثم يتنبأ له بأن قومه سوف يخرجونه من مكة لأنه في هذه الحالة إما أن يكون قد قرأ صفة النبي ودعوته في الكتب اليهودية والمسيحية وهذا افتراض صحيح طالما أشار القرآن إلى وجود صفة النبي في الكتب اليهودية والمسيحية، ولكن هذه المصادر لا تشير إلى ما سيحدث للنبي من فتنة مع قومه بعد بعثته فيكون تنبؤ ورقة بإخراج الرسول تزيداً لا ندري كيف عرف به.

يضاف إلى ذلك أن ورقة لو كان متأكد من نبوة النبي وصدق رسالته، وانطباق وصف الكتب المقدسة السابقة على القرآن عليه، لآمن بدعوته، وناصره نصراً مؤزراً، ولكن معظم المصادر الإسلامية لم تؤكد إسلام "ورقة" سوي المسعودي – كما ذكرنا – علماً بأن ابن كثير في البداية و النهاية ذكر أنه عاش زمن البعثة وكان يمر بمكة فيري بلالاً وهو يعذب . . . . فيرق ورقة لحالة ويقول : أحد أحد والله يا بلال والله لئن قتلتموه فأنتم من الخاسرين ولأتخذن قبره حناناً[2].

ولو سلمنا أخيراً برواية اصطحاب خديجة الرسول لورقة بعد نزول الوحي عليه للمرة الأولي بجراء للتأكد من الوحي الذي حصل له، فإن الأمر لا يتعدي ما ذكرته هذه الرواية، ولا يمتد

---

[1] انظر مروج الذهب و معادن الجوهر لأبي الحسن على بن الحسن بن على المسعودي ت ٣٤٦، تحقيق المرحوم الشيخ / محمد محيى الدين عبدالحميد جـ٢/٢٧٢ وما بعدها، المكتبة الإسلامية بيروت - لبنان

[2] البداية والنهاية لشيخ الإسلام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، ت ٧٧٤، ج ٣ ص ٦٩، دار الغد العربي ط١ – ١٤١١هـ ١٩٩١م.

إلى تتلمذ النبي عليه مدة خمس عشرة سنة قبل البعثة، واستقاء معلوماته ومعارفه منه، وإنما هو تخرص، وضرب من القول لا يسنده دليل صحيح، فتكون هذه المزاعم باطلة من أساسها[1].

٥. مواجهة دعوي أن الرسول قد استقي معلوماته من بعض اليهود والمسيحين المقميين بمكة:

إذا انتقلنا إلى تلك الروايات التي يرددها المستشرقون من أن الرسول قد استقي معلوماته من بعض اليهود والمسيحيين المقميين بمكة فإننا نرد عليهم بأن :-

- اليهود وجدوا إبان تلك الحقبة في يثرب، ولا وجود لهم يذكر بمكة.
- أما النصاري فقد وجدوا فعلاً بمكة عند ظهور الإسلام، وهم جماعة من الغرباء قدموا إليها لأسباب منها :-
  - الرق
  - الإتجار
  - التبشير
  - احتراف بعض الصناعات البدائية كصناعة السيوف والحدادة والنجارة

وكان بعض هؤلاء الغرباء ممن حصلوا على معارف وثقافة لا بأس بها وكانوا يقرؤون ويكتبون، فاستعملهم تجار قريش في ضبط تجارتهم وبضاعتهم، وربما كان بعض منهم ملماً بالكتب المقدسة قديماً، وإلى هؤلاء نسب المستشرقون مصدر القرآن الكريم بحجة اختلاط النبي معهم، واغترافه المعلومات من مصادرهم.

أننا نجد قريشاً قد سبقت المستشرقين في هذه الشبهه منذ أكثر من ألف عام حينما أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالي "وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ"[2].

ورده المقنع عليهم بأن هذا الشخص أعجمي لا يحسن اللسان العربي الذي أنُزل به القرأن.

---

[1] انظر سيرة الإمام ابن هشام جـ١ ص ٧٣٤.

[2] سورة النحل آية ١٠٣

ولو تتبعنا الروايات التي قيلت عن هذا الشخص لرأينا اضطرابها واختلافها هي الأخري.

ودعنا نرجع إلى تفسير الإمام القرطبي الذي أورد روايات متضاربه عن اسم هذا الشخص، فتارة يدعي أسلمان، أوسيار، و تارة يطلق عليه اسم جبر، أو يعيش، أو بلعام، طبقاً للأسانيد المختلفة[1].

٦. مواجهة دوعي تلقي الرسول تعاليمه الدينية عن بحيري الراهب.

وأما من زعم من المستشرقين أن الرسول قد تلقي تعاليمه الدينية عن "بحيري الراهب".،

هو قول عار عن الصحة هو الأخر وذلك : -

أنه لم يكن لهذا الراهب أثر في التاريخ لو لم يذكره مؤرخو السيرة النبوية. وأجمع هؤلاء المؤرخون على أن هذا الشخص هو "راهب" متبتل عاش في ديره على أطراف الجزيرة العربية مثل بقية زملائه الذين اتخذوا من هذه الأماكن البعيدة ملاذا لهم. وكان ديره يقع في طريق تجارة قريش إلى الشام، و كثيراً ما تأوي هذه القوافل التجارية إلى ديره للراحة من كد السفر، فيضّيفها، ويزودها بالماء القراح.

وذكر المؤرخون أن الرسول صلي الله عليه وسلم لما بلغ أثنتي عشرة سنة من عمره، خرج عمه أبوطالب في قافلة تجارية إلى الشام، ولما تهيأ لذلك تعلق به الرسول، فرق له عمه، واصطحبه معه وهو غلام صغير، ولما وصلت القافلة "بصري" من أرض الشام، كان بها راهب يقال له "بحيري" في صومعة له، وكان إليه علم أهل النصرانية، فلما نزلت قافلة قريش عليه صنع لهم طعاما كثيرا ودعا القوم إلى ضيافته، فحضروا جميعاً سوي الرسول الذي خلّفه عمه لحداثة سنه في رحال القوم تحت الشجرة، فأصر "بحيري" على حضوره، لأنه شاهد علامات النبوة عليه، وبعد تناول الطعام، سأل بحيري الرسول عدة أسئلة عن حاله في نومه، وهيئته، وأموره، ورسول الله يخبره، فتيقن بحيري أن هذا الغلام سيكون له شأن كبير في مستقبل الأيام، فحذر عمه من كيد اليهود له وأمره بالرجوع به إلى مكه حين يفرغ من تجارته بالشام[2].

انتهت روايات الأخبار إلى هذه النقطة.

---

[1] جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠، جـ١٤ ص ١٧٩، طـ٣ ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفي العالي الحلب و أولاده بمصر

[2] سيرة ابن هشام طـ١٨٠

لكن المستشرقين أولوا هذه الأخبار وذهبوا بها مذاهب شتي منها :

- أن الرسول كان يتردد على هذا الراهب إبان سفره للتجارة عندما أصبح شاباً، وأنه استقي منه العديد من الحكم والمعارف الدينية، وأنه كان أحد مصادره لتأليف القرآن الكريم

ويتبين خطأ هذا الرأي من عدة وجوه منها :-

١) أن الرسول لم يري بحيري إلا مرة واحدة ولحظات بسيطة وهو طفل صغير، ولا يعقل أن يستقي منه شيئاً من المعارف و المعلومات في هذه الفترة الوجيزة وفي هذه السن اليافعة.

٢) ثبت أن الرسول لم يسافر للتجارة إلا مرة واحدة بعد أن أصبح شاباً، وذلك عندما استأجرته السيدة "خديجة" لتجارتها واتفقت الروايات على عدم مروره ببحيري هذه المرة. ولم يشر الإخباريون ومؤرخوا السيرة إطلاقا إلى عودة الرسول صلي الله عليه وسلّم مرة ثانية.

٣) وإذا صدقنا رواية إلتقاء الرسول ببحيري أثناء رفقة عمه أبي طالب، فإن الأحداث تخبرنا أنه عاد إلى التجارة وهو قريب السن من الخامسة والعشرين، لأنه تزوج بالسيدة "خديجة" في هذا العمر، أي بعد عودته من تجارته بالشام، فيكون بحيري قد قضي نحبه خلال هاتين الفترتين، لأنه كان كبير السن عندما مر به الرسول للمرة الأولي.

والأسئلة التي لا إجابة لها من قبل المستشرقين عن هذا التأثير تحدد الأمور التالية :-

١) كيف يتأثر الرسول بهذا الراهب وقد رآه والتقي به مره واحدة وهو في الثانية عشرة من عمره؟

٢) وكيف يتسني له أن يتلقي منه المعارف والقصص، والأحكام والمواعظ، والأوامر والنواهي الورادة في القرآن وهو يمر بهذا الراهب مرور الكرام حتي ولو فرضنا التقاءه به مرة ثانية؟

٣) وكيف لا يلاحظ مرافقوه من تجار قريش التقاء الرسول به، والمكوث معه أياما وليالي طويلة، وهو يغترف من معين الراهب العلمي؟

وكيف يتسني له ذلك وهو أمي لا يتمكن من تسجيل تلك المعلومات وتدوينها للإستعانة بها في تأليف كتابه[١].

إن سائر المصادر الداخلية التي تعب المستشرقون في بيانها، وتأصيلها باعتبارها مصادر للقرآن الكريم لا تصمد أمام النقد الجدي والبحث المتأني والموضوعية الإسلامية.

وإذا كان الأمر كذلك فكيف يكون حال المصادر الخارجية التي زعم هؤلاء المستشرقون أن الرسول قد تأثر بها في تأليف كتابه، وهذا ما سنبحثه الآن.

ثانياً : العوامل الخارجية : التي ادعي المستشرقون بأن الرسول صلي الله عليه وسلّم استقي منها القرآن الكريم.

تعريف العوامل الخارجية : يقصد المستشرقون بالمصادر الخارجية للقرآن الكريم :

١) الحكم

٢) المواعظ

٣) المبادئ

٤) الأوامر و النواهي

٥) والقصص الواردة في كتب التوراة و الأنجيل والكتب السماوية الأخري

وأجهدوا أنفسهم في تلمس الأحكام والقصص الواردة بها ومقابلتها بتلك المنصوص عليها في القرآن الكريم.

---

[١] انظر الظاهرة الإستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية أ.د/ سامي سالم الحاج جـ٢ ص ٣٣٤ وهو العمدة في دراستنا هذه

المنهاج الذي استخدموه : لقد استخدم المستشرقون في ذلك منهاج المطابقة والمقابلة الذي إن كان قد اسعفهم كثيراً في دراسة وبحث النصوص الإسلامية فإنه قد خذلهم عند استخدامه في تلمس مصادر القرآن الكريم.

١) الرسول استقي معلوماته "القرآن الكريم" من العهد القديم

يصف "جولد تسهير" وصف القرآن الكريم ليوم القيامة وأهوالها التي ستنجم عن حدوثه، وإنذاره بنهاية العالم، وبيوم الغضب والحساب، وانتهي إلى نتيجة مفادها أن ما يبشر به الرسول والمتعلق بالدار الآخرة ليس إلا مجموعة مواد استقاها بصراحة من الخارج يقيناً، وأقام عليها هذا التبشير. ولقد أفاد من تاريخ العهد القديم. وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء – ليذّكر على سبيل الإنذار والتمثيل، بمصير الأمم السابقة الذين سخروا من رسلهم الذين أرسلهم الله لهدايتهم، ووقفوا في طريقهم، وبهذه انضم محمد إلى سلسلة أولئك الأنبياء القدماء بوصفه أخرهم عهداً وخاتمهم[١].

٢) تأثر محمد باليهودية و المسيحية :

يذهب "مونتجمري وات" إلى أن السور القرآنية الأولي التي تتحدث عن الواحدانية تضع القرآن في مرتبة الواحدانية اليهودية المسيحية نظراً لمفاهيمه عن الله الخالق، ويوم البعث والحساب. أما السور القرآنية الأخيرة، فإنها تقترب كثيراً من التعاليم الإنجيلية القديم منها والحديث.

طرق وكيفية وصول المؤتمرات اليهودية والمسيحية إلى النبي :

يناقش "مونتجمري وات" كيفية وصول المؤتمرات اليهودية والمسيحية إلى النبي، وهو في نقاشه ينفي معرفة النبي للقراءة والكتابة خلافاً للكتّاب الغربيين الآخرين الذين لا يستطيعون إدراك هذه الحقيقة طالما كانوا يعتقدون أن محمداً بصفته تاجراً ماهراً فلابد أن يكون ملماً بالقراءة والكتابة ويفسرون إصرار المسلمين على أميته كسند لإثبات معجزة القرآن وأصله الإلهي ليس إلا.

---

[١] العقيدة والشريعة جولد زيهر ص ١٥

لكن "مونتجمري وات" ينفي اطلاع محمد المباشر على الكتب المقدسة لليهود والمسيحيين وإن كان لا يستبعد وصول تعاليمهم إليه شفاهة[1].

أدلته على تأثر محمد بالتوارة والإنجيل بطريق غير مباشرة :

وللتدليل على صحة استنتاجه فهو يقترح عدة افتراضات منها :-

* إمكانية مقابلة النبي صلي الله عليه و سلّم بعض رجال الدين اليهود والنصاري ومجادلته لهم ومناقشته معهم بعض القضايا.

* منها إمكانية مناقشته للعرب النصاري وللقادمين من الحبشة واليمن وهم يعتنقون المسيحية، ومبادلته بعض الأفكار معهم.

* ومنها وجود جالية يهودية كبيرة بالمدينة وربما تكون مجادلتهم له واختلاطهم به قد أديا إلى تشربه بعض أفكارهم.

إن دفاع "مونتجمري وات" عن صحة الرسالة النبوية، وصدق الرسول، لا تنفي اعتقاده هو الأخر بعدم ألوهية مصدر القرآن الكريم وتأثره بمصادر خارجية قادمة من الديانتين اليهودية و النصرانية.

ومما يؤكد ذلك :

قول المستشرق الفرنسي بلاشير "إن التشابه الحاصل في القصص القرآني مع القصص اليهودي والمسيحي يعزز بشرية القرآن وتأثره بالعوامل الخارجية، وبخاصة أنه قد استنتج هذا التأثير المسيحي واضحاً في السور المكية الأولي والناتج عن تلك العلاقات المستمرة التي كانت تربط مؤسس الإسلام والفقراء المسيحيين بمكة".

ما يستنتج من كل ما سبق :

[1] الظاهرة القرآنية ص ٣٢٠/٢.

بأن الرسول – صلي الله عليه وسلّم – استقي كل معلوماته – القرآن الكريم من مصدر خارجي وهو "التوراة والإنجيل".

مواجهة تلك الشبهة :

إن البحث العلمي الإسلامي الصحيح يوجب علينا في مواجهة تلك الشبهة ودحضها أن نتعرض إلى:-

١. كيفية دخول هاتين الديانتين للجزيرة العربية.

٢. بيان الأحكام والمبادئ التي نشروها في هذه الأصقاع.

٣. المؤثرات التي أدخلوها على العرب.

٤. مدي صحة ادعاء المستشرقين من تأثر الرسول بهم في القرآن.

ثبت لدي المؤرخين والباحثين وجود اليهود في الجزيرة العربية، واستقرارهم بيثرب، واصطدامهم بالرسول صلي الله عليه و سلّم بعد هجرته إليها، ومجادلتهم إياه في الأمور التعبدية والمدنية.

ويرجع الباحثون قدوم اليهود إلى الجزيرة العربية من فلسطين بعد أن استولي عليها تيوخذ نصر البابلي وأنهم انتشروا في الأجزاء الشمالية من الجزيرة العربية، ثم تسربوا منها إلى جنوبها، حتي أصبحت اليهودية الديانة الرسمية لليمن.

أما كيفية ذلك، فليس لدينا إلا رواية الطبري التي زعم فيها أن "تبع بن حسان" اهتدي إلى ديانتهم عند مروره بيثرب وهو عائد إلى بلاده من حرب قام بها في الشمال، وذلك بتأثير بعض الأحبار عليه[١].

واستمرت اليهودية باليمن حتي تم القضاء عليها من قبل الأحباش بعد فتنة نجران التي ذهب ضحيتها المسيحيون الذين أطلق عليهم القرآن (أَصْحَابُ الأُخْدُودِ)[٢].

---

[١] انظر تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري جـ١٠٦/٢ دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م

[٢] سورة البروج بعض آية ٤

أما في شمال الجزيرة العربية فقد استقرت جالياتهم في يثرب، ووادي القري وخيبر وبقوا على ما كانوا عليه إلى أن ظهر الإسلام، وكانوا لا وجود لهم يذكر في مكة إلا أن تمركزهم بيثرب وسيطرتهم العلمية و الثقافية على قبيلتي الأوس والخزرج كانت واضحة لما كانوا يتميزون به من علم وثقافة بصفتهم أصحاب كتاب مقدسي.

وحينما هاجر النبي صلي الله عليه و سلّم إلى المدينة عقد معهم معاهدات حسنة، نظمت كيفية التعامل بينهم في العديد من الأمور الدنيوية خاصة الدفاعية منها. ولكن عندما انتشر الإسلام في أهل يثرب، ودعوة الرسول إلى اليهود للدخول فيه، خشي اليهود من القضاء علي ديانتهم خاصة أنهم يعتقدون أن النبوة ختمت، وأنه لا نبي إلا من قومهم.

تميزت العلاقات الثقافية والعقائدية الأولي بين الطرفين بالجدل الديني والعقدي كما أورده القرآن الكريم في العديد من آياته. ثم ازدادت هذه المناظرات عنفاً وإلحاحاً لما رأي اليهود أن الرسول يرفض نظرياتهم وأفكارهم، فتطورت هذه المحاولات والمناظرات من خصومة فكرية إلى معارك حربية كان الغلبة فيها للمسلمين الذين أجلوهم عن الجزيرة العربية.

وإذا بحثنا الحياة العقلية والثقافية لليهود قبل الإسلام وأثرها في الجزيرة العربية، لوجدنا أن هؤلاء القوم شأناً في تلك الأصقاع، فكانت لهم مدارس "المدارس" يتذاكرون فيها ما ورد في التوراة والمشتاقين حكم ومواعظ وتشريعات. وقد تجمعت عن هذه الدراسة ثروة أدبية ودينية طائلة للعبرانين نتجت من اتباع جملة طرق في الشرح و التفسير منها "مدراس ملاخة" و "مدارس هاكادة" وتختلف هذه في كيفية اتباع طرق العرض و الشرح والتفسير[1].

وأما بالنسبة لأثارهم الثقافية والعقائدية على أهل الجزيرة العربية، فقد ثبت لدي الباحثين اتصال بعض رجال مكة ويثرب باليهود والإستفاد منهم عن أمور الرسول والأنبياء وعن بعض الأحكام، وقد وجدت هذه القصص والأحكام سبيلها إليهم.

ونحن بصدد الرد على هذه الشبهات التي تزعم تأثر النبي صلي الله عليه وسلّم باليهود في العديد من الأمور التعبدية وتلك المنظمة للأمور المدنية، نود أن نؤكد على حقيقة بداهية وهي تأثر الحضارات والشعوب بعضها ببعض واقتباسها عن بعض، وهذه أمور لا يحجمها إلا مكابر، و لكن شتان بين

[1] انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د/ جواد على جـ٦/٥٥٠ وما بعدها

الأثر والتأثير الظاهرة في المسائل الحضارية التي درجت عليها البشرية عبر مسيرتها الحضارية وبين هذه المزاعم الإستشراقية التي تؤكد اقتباس دين سماوي له مميزاته، وخصائصه، وأحكامه، وأوامره، ونواهيه، وعقائده، وتنظيمات كالإسلام من الأثار اليهودية الواردة في كتبهم المقدسة.

نعم هناك العديد من التشابه بين الديانات السماوية فيما يتعلق بالتوحيد، والمعتقدات، وإنكار عبادة الأصنام، وتقرير بعض الأحكام التعبدية، وإقرار بعض العقوبات الجنائية، ورواية بعض القصص المتعلقة بالرسل السابقين والأمم السابقة والسبب في ذلك أن هذه الكتب المقدسة جميعها مصدرها الله، إذا يعتقد المسلمون جميعاً أن مرجعها إلى الله الذي أوحي بها إلى الأنبياء ليبلغوا بها الأقوام السابقة كما بلغ نبي الإسلام فيكون مصدر هذا التشابه واحداً، لأنها صادرة من مصدر واحد وهو الذي أنزل الديانات السماوية الثلاث.

كيف يتسني لنا أن نساير المستشرقين في تحليلاتهم التي تذهب إلى إنكار الوحي الإلهي على محمد، ونفي مصدر القرآن الإلهي، والتشديد على بشريته بينما العديد منهم يؤمنون بالرسالات السماوية الأخري من يهودية و مسيحية، بل إن بعضا منهم يتصف بالتدين الشديد في هاتين الديانتين السماويتين.

ويجوز لنا أن نتقبل تحليلاتهم المليئة بالشكوك في هذه المسائل الإعتقادية لو أنكروا مسألة الوحي الإلهي، والإيمان الغيبي ونفي الرسالات السابقة على الإسلام.

أما أنهم يؤمنون بالديانات السماوية الأخري، ويصدقون الرسل الذين بشروا بها وأذاعوها في الأفاق، ثم ينصب نفيهم على الرسالة الإسلامية فيكونون قد حادوا عن جادة الصواب، واتصفوا بصفة التعصب العرقي الذي يميز بين الأجناس، ويبيح لبعض الأقوام التشرف بإنزال الرسالة السماوية عليه ومن خلال أنبيائه وينكر على الشعوب الأخري هذه الصفة كما فعل اليهود طوال تاريخهم إلى يومنا هذا باعتبارهم شعب الله المختار، فأنكروا الرسالة الإسلامية، وأبو التسليم بها، لأنه – أي محمد صلي الله عليه وسلّم – لم يكن منهم ولأن النبوة لا تكون – على رأيهم – إلا في بني إسرائيل، فكيف يصدقون نبي عربي من الأميين؟.

وإذا ما تركنا ذلك كله، ودرسنا بعمق حالة اليهود الثقافية والحضارية قبل الإسلام لأدركنا ضآلة تأثيرهم على الحياة الثقافية العربية ناهيك بهذا التأثير في صلب القرآن الكريم.

بيان ذلك :-

أن المؤرخين اليهود أنفسهم يرون أن يهود الجزيرة العربية كانوا في معزل عن بقية أبناء دينهم، وأن اليهود الأخرين لم يكونوا يرون أن يهود الجزيرة العربية مثلهم في العقيدة، بل رأوا أنهم لم يكونوا يهود، لأنهم لم يحافظوا على الشرائع الموسوية ولم يخضعوا لأحكام التلمود.

المستشرق الألماني "كاسيكل" ذهب إلى أبعد من ذلك حينما أنكر يهودية اليهود في الجزيرة العربية استنادا إلى دراسة أسماء يهود الحجاز عند ظهور الإسلام، ورأى أنهم متهودون تهودا بتأثير الدعاة اليهود[١].

لو أخذنا بهذا الرأي لوجدنا عدم تأثير اليهود على عرب الجزيرة أصلا، لأنهم بأنفسهم عرب اعتنقوا اليهودية عن طريق المبشرين.

وهذا الرأي يجانبه الصواب من وجوه عدة :-

أهمها أن اليهود لم يبشروا بديانتهم عبر التاريخ، كما أنه لا يمكن الإستدلال على أصول الأمم والشعوب من خلال دراسة الأسماء وحدها[٢].

وينكر المستشرق "ونكار" الأصول اليهودية لمن أطلق عليهم اليهود بالجزيرة العربية، إستناداً إلى مستواهم الثقافي والإجتماعي المتدني الذي لا يرقي إلى مستوي أقوامهم بفلسطين.

ونستنتج من هذا الرأي :

أن يهود الجزيرة العربية لم يكونوا على ثقافة واسعة دينية أو مدنية حتي يؤثروا في القرآن الكريم، الحافل بالعلوم والمعارف والتشريع والحكم والقصص كما هو معروف.

ولعل أكبر دليل نسوقه على تدني المستوي الثقافي ليهود الجزيرة العربية ما أورده "ابن خلدون" في مقدمته[٣]. أثناء تعرضه لتفسير القرآن حيث قال :-

---

[١] انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د/ جواد على جـ٦/٥٣٠ بتصرف وما بعده.

[٢] انظر المرجع السابق نفسه حـ٦/٥٣٢١ وما بعدها

[٣] مقدمة العلامة ابن خلدون ص ٤٣٩ – المكتبة التجارية الكبري – القاهرة – ج. م. ع

" إذا تشوقت العرب إلى معرفة شئ مما تتشوق إليه النفوس البشرية من أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود. فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدون منهم. وهم أهل التوارة من اليهود، ومن تبعهم من النصاري. وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حِمْيَرَ الذين أخذو بدين اليهودية. فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع إليه الحدثان والملاحم وأمثال ذلك".

وقوم هذا مستواهم الثقافي الضئيل لا يمكنهم أن يؤثروا في الإسلام هذا التأثير الذي يزعم المستشرقون أنهم مارسوه على النبي العربي عبادة ومعاملة.

وإذا ما تركنا ذلك كله، وصدقنا ما ذهب إليه المستشرقون في هذا السبيل – فرضاً- فكيف نستطيع أن نفسر سكوت اليهود على اقتباس النبي لهم في الأمور الدينية والدنيوية؟

ذلك أن الجدل الذي احتدم بين الطرفين إبان فترة الصراع الفكري لا ينبئ عن التوافق أكثر مما ينبئ عن التناقض في العقيدة والشريعة.

بل إن مناقضة الإسلام للديانة اليهودية هو الذي أدي إلى زيادة الشقاق بينهما والذي وصل إلى غايته الحتمية وهو انتصار احدهما على الأخر انتصاراً كاملاً.

فإذا تركنا أثر اليهودية المزعوم على القرآن الكريم وانتقلنا إلى دراسة آثار النصرانية على القرآن الكريم لوجدنا :

أن هذه الديانة قد دخلت هي الأخري إلى الجزيرة العربية عن طريق التبشير من جهة، وعن طريق التجارة من جهة أخري.

لقد نزع إلى الجزيرة العربية وأطرافها العديد من الرهبان النصاري، الذين عاشوا فيها عيشة تبتل وعبادة، وكانوا يسعون إلى نشر المسيحية عن طريق إتقانهم العديد من العلوم والمعارف خاصة الطبية والمنطقية، فتمكنوا من خلال الطب ووسائل الإقناع الأخري من اكتساب قلوب بعض القبائل العربية وساداتها فاعتنقوا المسيحية، وأصبحوا من رعاياها وأنصارها.

ودخلت النصرانية عن طريق التجارة – أيضا – وبخاصة خلال تجارة الرقيق من الجنسين، وكان هؤلاء المساكين من النصاري، قد لعبوا دوراً هاماً في الحياة الثقافية والدينية للعرب، فقد لعب الرقيق الذكر "الرجل" دوره عن طريق إتقان بعض العلوم والمعارف، واستخدمهم أسيادهم في تسجيل وحفظ تجارتهم وعروضهم، وحاولوا تنصير بعض هؤلاء التجار، فأفلحوا في بعضهم وفشلوا في الأخر.

ولعب الرقيق الأبيض "النساء" دوره عن طريق الجمال والإغراء وبخاصة أن هذا النوع يمتاز عن الرقيق الأسود بالجمال، والدلال و الحسن، والقيام بأعمال بهيئة ومنزلية لا يعرفها الرقيق الأفريقي. وحاول هذا النوع من الأرقاء إقناع أسيادهن بالدخول في النصرانية، فأفلحن هن الأخريات في بعض منهم وفشلن في بعضهن الأخر أيضا.

لقد أشرنا فيما سبق إلى تأثير الأديرة المسيحية "المقامة على أطراف الصحراء العربية" من أيواء القوافل التجارية العربية إليها إبان رحلتها الطويلة من وسط الجزيرة العربية إلى الشام، فكانت تستريح في تلك الأديرة، وتنزل على ضيافة رهبانها، وتتزود فيها بالزاد والماء، وكثيراً ما يسمع التجار عظات ومواعظ من هؤلاء البرهبان المنبثين في تلك الإصقاع الموحشة، وهم يدعون ويبشرون بديانة المسيح.

لعل العديد من العرب المتنصرين قد تأثروا بتلك العظات والمواعظ الدينية التي يرافقها عادة حسن الضيافة والإستقبال في تلك المحطات التجارية الموحشة.

إن النصرانية قد انتشرت عن طريق المبشرين الذين توغلوا في الجزيرة العربية حتي وصلوا إلى اليمن.

ووصلت النصرانية أيضا إلى هذه الأصقاع عن الطريق البحري الذي كان يسلكه الدعاه المسيحيون والذين قاموا بتأسيس العديد من الكنائس على سواحل الجزيرة العربية وهم في طريقهم إلى الهند.

كذلك انتشرت النصرانية من خلال الدعاه والمبشرون الرسميين الذين توفدهم الدولة البيزنطية إلى هذه الأصقاع لنشر المسيحية بين ربوعها بل إن الروايات الغربية تثبت أن الأمبراطور الروماني "قسطنطين" الذي جعل المسيحية عام ٣١٣م ديناً رسمياً للدولة الرومانية، أرسل العديد من

البعوث الدينية إلى اليمين والحبشة لنشر الدين المسيحي في تلك الأصقاع ولضم الحبشة واليمين إلى معسكرة[1].

لعل الرواية الصحيحة التي نقر بموجبها انتشار المسيحية في جنوب الجزيرة العربية تلك الواردة في القرآن الكريم في سورة البروج – والتي ورد بها تنكيل اليهود اليمنين بنصاري نجران، وحرقهم في أخاديد مستطيلة حفرت لهم في الأرض.

ويزيد الإخباريون عليها فرار بعض منهم إلى ملك القسطنطينية واستجارتهم به لنصرة دينه، وإرسال الإخير أسطولاً للنجاشي الذي كان من نصيبه تزويد الحملة بالرجال والعتاد، وهجوم الأسطول البيزنطي والمشاه الأحباش على اليمين وقضاؤهم على الدولة الحميرية، فنشروا المسيحية من جديد في اليمن ونجران، وبقيت الأخيرة على ما هي عليه حتي ظهور الإسلام وورد قصة المباهلة بين وفدهم وبين الرسول، وإنهاء الأمر إلى المصالحة[2].

وتخلص من ذلك كله :

أن المسيحية دخلت الجزيرة العربية عن طريق البر والبحر، براً عن طريق العراق والشام حتى الحجاز واليمن، وبحراً عن طريق التجارة والسفن البيزنطية.

ولكن الذي يهمنا هنا :

- دراسة الأثار الثقافية المسيحية على أهل الجزيرة العربية.
- والأثار التي خلفوها بين أهلها من الناحية العلمية والدينية.
- ومدي تأثر العرب بها.

حتي نستطيع :

- أن نحكم بسريان هذا التأثير على النبي العربي
- ومدي استقائه لمعلوماته ومعارفه من مصادرها الدينية

[1] انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام جـ٦/٦١٣.
[2] المرجع السابق نفسه جـ٦/٦١٣

إن معرفة الأثار الثقافية المسيحية على الديانة الإسلامية – كما يذهب المستشرقون إليه – تقتضي منا التعرض في عجالة إلى المذاهب النصرانية وبخاصة تلك التي انتشرت في الجزيرة العربية لنري مدي تأثر الإسلام بها من عدمه.

يهمنا من المذاهب النصرانية المتعددة مذهبان أساسيان دخلا الشرق، وانتشرا فيه، وأوجدا الخلاف بين أنصارهما طبقاً لطبيعة المذاهب والأحزاب والملل والنحل الأخري ألا وهما :

١. المذهب النسطوري

٢. المذهب اليعقوبي

١) ترجع سيطرة المذهب النسطوري إلى الراهب "نسطوريوس" المتوفي ٤٥٠ م وملخص مذهبه : أن جعل للمسيح طبيعتين : الطبيعة البشرية والطبيعة الآلهية ويعني ذلك أن للمسيح أقنومين: أقنوماً بشرياً أتي إليه عن طريق والدته مريم، وأقنوماً إلهيا باعتبار المسيح ابن الله وكلمته.

قاومت الكنيسة الرسمية هذه الأراء النسطورية حول طبيعة المسيح البشرية والآلهية وحاكمه مجمع "أقسوس" عام ٤٣١ وقرر المجمع الحكم عليه بهرطقة أرائه، ومخالفتها للمبادئ الأساسية التي تدين بها الكنيسة المسيحية، ونتيجة هذا الحكم عزل "نسطوريوس" من أسقفية القسطنطينية، وتعرض هو واتباعه إلى الإضطهاد شأن الحال في سائر القضايا الفكرية والدينية المماثلة، ومع ذلك :-

فإن اتباع هذا المذهب لاقوا أنصار في أماكن أخري، كالرها، ونصيبين وغيرها من الأصقاع التي آمنت بهذا المذهب الجديد.

والذي يهمنا في هذا الصدد انتشار هذا المذهب في الجزيرة العربية وبخاصة في الحيرة، وقطر، والبحرين، وعمان، واليمامة، ونجران، واليمن[١].

[١] انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د/جواد على جـ ٦٦١/٦:٦٢٣ – أماكن متصرفة

٢) أما المذهب اليعقوبي فترجع تسميته إلى "يعقوب البرادعي" المتوفي عام ٥٠٠م وملخص مذهبه: أن جعل للمسيح طبيعة واحدة وأقنوماً واحداً، وأطلق علي اتباع هذا المذهب "بالمنوفستين" أي القائلين بالطبيعة الواحدة.

وانتشر هذا المذهب بين الغساسنة وبقي بين ظهرانيهم حتي ظهور الإسلام.

* وقبل أن نتطرق بعد قليل إلى أهمية هذين المذهبين يجدر بنا الإشارة إلى :

* مذاهب أخري هي مزيج من اليهودية والنصرانية وجدت سبيليها إلى بعض هذه الأصقاع بالجزيرة العربية.

ونتعرض لها لأهميتها فيما يتعلق بالشبهة القائلة بتأثر القرآن بالمصادر والمذاهب والكتب المسيحية وبخاصة حول صفة المسيح وولادته والظروف التي قربها وأهم هذه المذاهب مذهب "الأبيونيين"[١] وهو من قدماء اليهود المتنصرين وتعني هذه التسمية بالعبرية "الفقراء".

<u>ومخلص رأي هؤلاء القوم :</u>

اعتقادهم بوجود الله خالق الكون والحياه، وينكرون رأي القديس "بولسي المسيح" ويعتقدون أن المسيح بشر، أمتاز على غيره بالنبوة، وبأنه رسول الله، ويؤمنون بولادة المسيح من قبل والدته مريم دون اتصال بالبشر، وأنكرو صلب المسيح وأن من صُلب قد شبه لهم[٢].

الذي يهمنا من السرد السابق للمذاهب المسيحية المختلفة بيان تأثيرها العقدي والثقافي على أهل الجزيرة العربية.

فقد رأينا سابقاً علم بعض الحنفاء بالعهد القديم والجديد كأمية بن أبي الصلت وورقة بن نوفل ونضيف عليهما عامر الراهب وقس بعد ساعده وغيرهم من الحنفيين.

* * يذهب المستشرق الألماني "شبرنجر" إلى احتمال ترجمة العرب للكتاب المقدس قبل ظهور الإسلام وعند ظهوره، وكانت الترجمة من اليونانية إلى العربية[١].

---

[١] انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د/جواد على جـ ٦٣٥/٦

[٢] المرجع السابق نفسه

لكننا لا نملك الأدلة العلمية الدامغة على قول "شبرنجر" وبخاصة من جهة ترجمة الكتب والأسفار من اليونانية إلى العربية، والتي بدأت حقيقة منتصف العصر الأموي فقط، كما أننا لا نملك البراهين العلمية التي تؤكد أن القصص الواردة في التوارة والإنجيل قد نقلت إلى العرب قبل الإسلام، لأن مصادرنا حولها قد استقيناها من قصص كعب الأحبار، ووهب بعد منبه وغيرهما من علماء اليهود الذين أسلموا وساهموا في إدخال الإسرائيليات إلى التفاسير القرآنية.

ويذهب المستشرق الألماني "نولديحة" بالمصطلحات الدينية المعروفة لدي أهل الكتاب في الجاهلية، والتي أقرها القرآن الكريم، واستنتج منها تأثر الإسلام بالعهدين القديم والجديد.

لكن المصطلحات اللغوية لا تكفي وحدها للتدليل بوجود الأثر والتأثير، وبخاصة أنه لم تكن للجاهليين ديانة قوية بلغتها، ومصطلحاتها وأحكامها، فكانوا لابد من أن يتأثروا بالمصطلحات الدينية للمسيحية واليهودية، غير أن هذا لا يعني اقتباس القرآن منها هذه المصطلحات خاصة وأن معظمها مستنبط من أصل سرياني أو عبراني أو يوناني أو حبشي.

وذكر الدكتور/ جواد علي أن الأب "شيخو" في كتاب "النصرانية وأدابها بين عرب الجاهلية" قد جمع الألفاظ الخاصة بأهل الكتاب من الأبيات الواردة في دواوين شعراء الجاهلية وفي كتب الأدب، ليجعل من تلك الألفاظ دليلاً على أثر النصرانية في الجاهليين وهو حكم لا يمكن أن يكون سليما، إلا بعد ثبوت صحة نسبة تلك الأبيات إلى الجاهليين.

ويذهب بعض المستشرقين بأن القرآن قد تأثر بالمذهب اليعقوبي عند إقراره للمسيح بالطبيعة البشرية دون الألهية، وهو رأي يخالف ما ذهبت إليه النسطورية كما أسلفنا.

غير أن هذا الرأي لا يستقيم، لأن المذهب اليعقوبي لم يكن معروفاً لدي أهل مكة، ولم نعثر في معظم المصادر العربية التي رجعنا إليها على تأثير هذا المذهب على العرب الجاهليين، أو إبان العهد الأول للإسلام.

كما أن هذا المذهب قد انتشر بين الغساسنة وإن كان هؤلاء على علاقة بالقوافل التجارية العربية العابرة إلى الشام، إلا أننا لم نحصل على أية معلومات حول تأثير الغساسنة على أهل العرب الجاهليين.

---

[1] المرجع السابق نفسه جـ ٦، ٦٨١

أما من قال بتطابق أراء "الأبيونيين" مع ماورد في القرآن الكريم حول طبيعة المسيح البشرية، وولادته من أمه مريم دون اتصال بشري، وأنه رسول إلي العالمين شأن بقية الرسل الأخرين.

فلماذا لانعتقد بصحة هذه الفرقة الدينية في هذه الأراء وتطابقها مع القرآن الكريم؟

خاصة أنها جمعت بين اليهودية والمسيحية، وربما يكون الصواب بجانبها فأتي القرآن مطابقاً لأفكارها، لأن مصدرها الإلهي واحد.

ويذهب "سيدريكي" في كتابه "أصول الأساطير الإسلامية وفي سير الأنبياء" إلى اقتباس القرآن الكريم معلوماته وأخباره عن مولد السيد المسيح من "إنجيل مامتي" الباب العاشر والذي ورد فيه حرفيا في اليوم الثالث من رحلتهما عبر صحراء المحرقة رأت مريم نخلة فقالت ليوسف "أود أن استريح قليلا تحت ظلها" فقادها يوسف إلى النخلة وأنزلها من مطيتها وعندما جلست مريم رفعت رأسها إلى قمة النخلة ووجدتها مليئة بالرطب فقالت ليوسف "أرغب في تذوق رطب هذه النخلة إذا كان الأمر ممكنا" فقال لها يوسف "أنا مندهش من طلبك هذا" ألا ترين ارتفاع الشجرة وأنت تحلمين بأكل رطبها؟ إن ما ينغصني الآن هو نقص الماء، فليس لدينا مياه نستقي منها نحن ودوابنا.

عندئذ كان الطفل يسوع، يستريح – بوجهه المشرق – على ركبتي والدته فخاطب الشجرة قائلاً "انحني أيها الشجرة وغذي أمي من رطبك" وما أن سمعت الشجرة كلامه حتي أنحت بقمتها أمام قدمي مريم، فجنوا من رطبها.. وبعد أن قطفوا ثمرها، بقيت منحنية تنتظر أمر الذي أمرها بالإنحناء للقيام. عندئذ خاطبها اليسوع قائلاً "انهضي أيها الشجرة واستعيدي قوتك، ولتصبحين من ضمن أشجار جنة أبي. ولينبجسن من جذورك ذلك النبع الذي كان مختفياً تحت الثري، وليسيل منها الماء الكافي لإرواء غليلنا" فاستقامت الشجرة حالا،وانبثق من جذورها ماء رقراق لذيذ ففرحوا لرؤية ذلك النبع، وشربوا منه مع دوابهم وشكروا الله على ذلك.

أخطأ "سيدرسكي" في استنتاجه باقتباس القرآن لقصة مريم وابنها من إنجيل "متى" من عدة وجوه منها :

* زعمه أن القرآن قد خلط بين "مريم" أم المسيح وبين "مريم" أخت موسي وهارون وجعلهما واحدة. وهذا خطأ فاحش يدل على عدم فهم المستشرقين لأسرار اللغة العربية

واشتقاقاتها، وبلاغتها، ومجازها، إن مريم أم المسيح من ولد هارون أخي موسي فنسبت إليه بالأخوة، لأنها من ولده كما يقال للتميمي: يا أخا تميم وللعربي يا أخا العرب[1].

كما ورد في الأثر أن كعب الأحبار كان بحضرة عائشة أم المؤمنين فقال : إن مريم ليست بأخت هارون أخي موسي فقالت له عائشة كذبت. فقال لها يا أم المؤمنين إن كان رسول الله صلي الله عليه وسلّم قاله فهو أصدق وأخبر، وإلا فإني أجد بينهما من المدة ستمائة سنة. فقال فسكتت[2].

ونسب لرسول الله صلي الله عليه وسلم بالخصوص سبب إطلاق "يا أخت هارون على مريم" أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم.

وذهب الزمخشري إلى أن بين مريم وبين موسي بن عمران ما يزيد على ألف سنة فلا يتخيل أن مريم كانت أخت موسي وهارون[3].

* وفيها أن الروايتين لم تكونا متطابقتين، لأن الرواية التي نسبها "سيدرسكي" إلى الأنجيل تجعل من واقعة اشتهاء الرطب وأكله من قبل مريم ويوسف النجار وهما في طريقهما إلى مصر بعد ولادة المسيح. بينما الرواية القرآنية تنص على أن مريم حينما فأجأها المخاض إلى جذع النخلة، تمنت الموت لخوفها على سمعتها، فنادها من تحتها بعدم الحزن والأسف لأنها ولدت العظيم من الرجال ذا الخصال الحميدة، فأكلت الرطب من النخلة وشربت الماء العذب الذلال.

وفي هذا خلاف بين الروايتين في الزمان والمكان والكيفية.

---

[1] تفسير الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد أحمد الأنصاري القرطبي جـ١١/١٠٠ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر عام ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م. ثم انظر كذلك تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل محمد بن كثير القرشي ت: ٧٧٤ جـ ١١٨/٣ – عيسي البابي الحلبي وشركاه.

[2] المرجعان السابقان نفسها القرطبي جـ١/١٠٠، تفسير الإمام بن كثير جـ١١٨/٣

[3] انظر تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تأليف أبي القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري الخوار في ٤٦٧ – ٥٣٨ م حـ ٥٠٨١ حقق الرواية محمد الصادق قمحاوي مكتبة مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة الأخيرة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢ م.

وعلى هذا المنوال حاول هذا المستشرق من خلال ما أورد من قصص في كتابة إيجاد المصادر اليهودية والدينية التي استقي منها القرآن الكريم.

وهي مقابلات متعسفة، متسمة بالتعصب والهوي، متميزة بلي رقبة الحقائق التاريخية والدينية ليصل إلى غرضه المنشود وهو إيجاد مصادر خارجية للقرآن الكريم. ولعل تعصبه يشهد به عنوان كتابه الذي وصفه بالأساطير الإسلامية، بينما لم يجحد ما يقابلها من قصص في العهدين القديم والجديد من كتب اليهود والنصاري.

لم يكن هذا المستشرق وحده الذي عزف على هذه النغمة، فقد سبقه إلى ذلك المستشرق الألماني "يتودور نولدكه" الذي حاول خلال دراسته العميقة "لتاريخ القرآن" إيجاد مصادر خارجية للقرآن الكريم ووصل إلى نتيجة مفادها :-

أن القصص القرآني حافل بالمؤثرات اليهودية والمسيحية التي انتقلت إلى العرب شفاهه عن طريق اليهود المقيمين في المدن العربية، وكذلك عن طريق العرب المتنصرين. إلا أن السؤال الذي لا إجابة عليه هو :-

* كيف تجد بعض التعاليم والقصص اليهودية والمسيحية سبيلها إلى الرسول العربي فيتأثر بها، ويقتبسها، ويضعها في كتابة، بينما يهمل الأخرين؟

* وكيف تمكن الرسول من الإطلاع على الكتب المقدسة القديمة بخاصة كتاب "الأغادة" اليهودي، بينما أجمع المسلمون قديماً وحديثاً على أميته وعدم معرفته القراءة والكتابة؟.

ويؤكد مونتجمري وات من هذه النقطة الأخيرة عندما يقول إن من يدعي من علماء الغرب بعدم أمية محمد، لأنه تاجر ماهر، فلا يعقل وهو بهذه الصفة أن يجهل القراءة والكتابة طالما كان نظراؤه من التجار القرشيين يعلمون ذلك، إلا أن تأثير الأناجيل على القرآن كما يبدو للعيان يؤكد أن محمد لم يقرأ مطلقا الأنجيل، بل ومن المؤكد أيضا عدم اطلاعه على أي كتاب أخر، ولكن ربما انتقلت إليه تلك المعارف شفاهة[1].

[1] الظاهرة القرآنية جـ٢/٣٤٦

إن انتقال الروايات الشفهية لا تستقيم في عملية الإقتباس المدعي بها في القرآنٍ من قبل الكتب المقدسة القديمة، لأن القرآن حافل بالقصص، والمواعظ، والشرائع والمعتقدات في غاية التفصيل أو الترتيب أو الدقة.

ولا يعقل أن يتم نقل هذه المعارف جميعاً عن طريق الرواه، لابد أن يتضاربوا في نقل هذه الروايات، ويتناقضوا في إيراد العقائد والشرائع المنقولة شفهياً.

ومن هنا لا تستقيم نتائج من أنكر اقتباس الرسول من الكتب القديمة كتابة والإقرار بها شفاهة.

ومن هنا يحق لنا أن نقرر بكل موضوعية إسلامية أن الدين الإسلامي لا يمكن أن يكون نتاجاً بسيطاً للمؤثرات الخارجية.

وأن المصدر الأول والوحيد للقرآن هو الله وحده دون سواه، فإذا كان الأمر كذلك وهي قضية إيمانية لا تُمس بالنسبة للمسلمين، فما رأى المستشرقين حول الوحي الإلهي الذي نزل بموجبه القرآن الكريم باعتبار الله هو مصدره الوحيد؟.

إذن النسخة الأخيرة هي أن مصدر القرآن الكريم هو الله تعالي، وأنه أنزله على النبي صلي الله عليه و سلّم عن طريق الوحي لا عن طريق أخر سواه.

ومن الملاحظ أننا قد أطلنا في هذا الموضوع بإسهاب، وأتينا بكل حججهم – تقريبا- الداخلية والخارجية، لإثبات بشرية القرآن ودحضناها الواحدة تلو الأخري بإسهاب.

وأثبتنا بالأدلة القاطعة بأن مصدر القرآن الكريم هو الله تبارك وتعالى وحده عن طريق العرض، لا عن طريق آخر سواه.

أذن:

* ثبت كل ما يقوله القرآن الكريم

* ثبت بأن مصدر القرآن الكريم هو الله تبارك وتعالي

* ثبت الوحي بواسطة الأمين جبريل إلى النبي صلي الله عليه وسلّم

* ثبتت النبوة له صلي الله عليه وسلّم

* ثبتت السنة النبوية المطهرة والحديث النبوى الشريف

* ثبتت عالمية الدعوة الإسلامية

* ثبت الفقة الإسلامي ..... إلخ

وبطلت وتهاوت كل شبه المستشرقين ودعاويهم

* حول القرآن الكريم

* حول مصدر القرآن الكريم

* حول الوحي

* حول النبوة

* حول السنة النبوية والحديث

* حول الفقة وأصولة

* حول الفلسفة وعلومها

* حول اللغة والآداب والتاريخ

* حول الحضارة

* حول العلوم

* حول الحياه الإجتماعية

* حول النظم الإسلامية (السياسي – الإقتصاد العسكري)

* وسقطت مناهج المدعاه بالعملية

* وسقط معهم التبشير والتنصير بكل أبعاده

* وسقط معهم أذنابهم من أبناء هذه الأمة وسقطت معهم مؤلفاتهم

ومن هنا جاءت ثمرة وفائدة إطالتنا في مصدر القرآن الكريم، لأنه إذا ثبت المطلوب بطل العكس وإذا بطل العكس ثبت المطلوب فكل ما بني على باطل فهو باطل، فإذا ثبت بالأدلة القاطعة بأن مصدر القرآن الكريم هو الله وحده، بطل كونه بشرياً، وإذا بطل كونه بشرياً ثبت بأن مصدره هو الله وبذلك ثبت مصدر الإسلام وثبتت حقيقته وبالتالي كل ما يترتب على ذلك وبطل العكس وكل ذلك من أجل تحصين شابنا من الوقوع في نيران هؤلاء وعدم الإعتزاز بهم وليتجه لدينه ليحصن نفسه به أولاً.

المستشرقون والسيرة النبوية:

وسنتناول فيما يأتي:

أولا : مقدمة وتشتمل على ما يأتي :-

أقسام السنة عند علماء الإسلام

١. **أقسام السنة "الحديث" عند علماء الأصول تنقسم إلى :-**

* الحديث المتواتر (تعريفه، شروطه، العمل به)
* الحديث المشهور (تعريفه، شروطه، العمل به)
* حديث الآحاد (تعريفه، شروطه، العمل به)

٢. **أقسام السنة "الحديث" من حيث صدورها عن النبي صلي الله عليه وسلّم.**

* سنة قولية
* سنة فعلية
* سنة تقريرية

٣. **أقسام السنة من حيث الإستدلال**

٤. **أقسام السنة من حيث منزلتها من القرآن الكريم "من حيث الأحكام"**

٥. **تحديد المواد للمصطلحات الآتية (السنة، الحديث، الخبر، الآثر)**

ثانياً : تحديد الشبهه المراد دراستها ومواجهتها

المستشرقون ونقد الحديث "شبهة نقد الحديث عند المستشرقين" وتشتمل على الآتي :

١. تصوير الشبهة وتحديدها

٢. تحديد من قالها

٣. صفوة القول

٤. الغاية من ذلك

٥. ماذا يترتب على تلك الغاية "تحديد شعب الشبهه الثلاث"

الشعبة الأولي "وضع الحديث" ومواجهتها "نقدها"

أولاً : وضع الحديث ويشتمل على :-

١. تحديد وتصوير الشبهة

٢. تحديد من قالها

٣. الأدلة على صحة هذه الشعبة من شبهة الوضع في الحديث على حسب وجهة نظرهم.

* "الحديث" من كذب على متعمداً ...

* نحن نكذب له، لا عليه

٤. الهدف والغاية من الوضع

* مقاومة الوضع في الحديث – الأحاديث

* مواجهة من ينكر صحة السنة.

* التشكيك في عدالة الصحابة

* الحديث ليس متواتر، زيادة كلمة متعمداً

ثانياً : المواجهة – النقد – مواجهة الشبهة الأولي "الوضع في الأحاديث"

ويشتمل على :-

١. ذكر سند الحديث "رجاله" وعدالتهم ورأي علماء الجرح والتعديل فيهم.

٢. ذكر بيان الحديث ورواياته وبيان درجته

٣. ما يشتمل عليه الحديث من نتائج وأحكام

٤. مواجهة دعوي "نحن نكذب له لا عليه"

٥. تحديد أصناف الوضّاعين

٦. تحديد سمات الحديث الموضوع

١) علامات الوضع في السند

٢) علامات الوضع في المتن

٧. تحديد جهات الوضع

الشعبة الثانية من الشبهه : الإسناد وموقف المستشرقين من مواجهتها

مقدمة وتشتمل على :-

١. تعريف علم الحديث رواية، وتحديد موضوعه والحكمة منه.

٢. تعريف علم الحديث رواية، تحديد موضوعه، (السند، المتن) (الحكمة منه).

* تعريف : السند، الإسناد، المتن، أحوال المتن

٣. الفرق بين علم الحديث رواية وعلم الحديث دارية.

أولاً : الإسناد ويشتمل على:

١. تحديد الشعبة، مع تحديد بداية الإسناد، تحديد من قالها.

٢. أثر ابن سيرين في الإسناد، مع تحديد المراد من الفتنة وسنتها ومن المراد.

ثانياً : مواجهة "نقد هذه الشعبة" وتشتمل على :

١. مقدمة تاريخية موجزة عن الإسناد

٢. بداية الإسناد في المدينة

٣. أدوار علوم الحديث "الدور الأول"

٤. تحديد مجال الدراسة – علوم الأسانيد عند المستشرقين – موارد دراسة الأسانيد

٥. شاخت ودوره في الكتب الفقهية

٦. ملخص طريقة استعمال الأسانيد لدي القدماء (أصحاب السير والقدماء)

٧. البروفسور "شاخت" والقيمة العلمية للأسانيد

٨. مناقشة "شاخت" في أمثلته للظاهرة "الإعتباطية" في الأسانيد.

نتيجة ذلك كله.

المستشرقون والسنة النبوية "الحديث النبوي"

أولا : المقدمة "أقسام السنة عند علماء الإسلام"

وتشتمل علي :

١. **أقسام "السنة الحديث" عند علماء الأصول تنقسم إلى :**
   ١. الحديث المتواتر (تعريفه، شروطه، العمل به)
   ٢. الحديث المشهور (تعريفه، شروطه، العمل به)
   ٣. حديث الآحاد (تعريفه، شروطه، العمل به)
٢. **أقسام السنة "الحديث" من حيث صدورها عن النبي صلي الله عليه وسلّم:**
   ١. سنة قولية
   ٢. سنة فعلية
   ٣. سنة تقريرية
٣. **أقسام السنة من حيث الإستدلال**
٤. **أقسام السنة من حيث منزلتها من القرآن الكريم "من حيث الأحكام"**
٥. **تحديد المواد للمصطلحات الآتية**
   ١. السنة
   ٢. الحديث
   ٣. الخبر
   ٤. الأثر
٦. **مسألة تدوين الحديث**

ثانيا تحديد الشبهة المراد دراستها ومواجهتها :

المستشرقون ونقد الحديث "شبهة نقد الحديث عند المستشرقين" وتشتمل على الآتي :

١. تصوير الشبهه وتحديدها

٢. تحديد من قالها

٣. صفوة القول

٤. الغاية من ذلك

٥. ما يترتب على تلك الغاية "تحديد شعب الشبهة الثلاث"

تحديد شعب الشبهة الثلاث

وسنتناول ذلك بإذن الله تعالي فيما يأتي

نقول وبالله التوفيق

السنة هي المصدر التشريعي الثاني الإسلامي بعد القرآن الكريم استدلالاً، وهي بهذه الصفة لها حجيتها ويجب العمل بها وبمقتضاها إذا ثبت روايتها عن سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلّم عن طريق العدل الضابط إلى منتهاه بدون سذوذ لا علة.

ومن حيث الحجة مساوية للقرآن الكريم، لأنها قسيم الوحي "الكتاب والسند" وأساس حجيتها تستند إلى ما جاء في القرآن الكريم من الأمر بطاعة سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلّم وجعل طاعته طاعة لله تعالي لقوله تعالي "وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا البَلاغُ المُبِينُ"[1].

وقوله "مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظا"[2].

وقوله "فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً"[3]. وغير ذلك من الأيات الكثيرة التي تدل على حجية السنة واعتبارها مصدراً أساسياً من مصادر التشريع الإسلامي.

أقسام السنة عند علماء الإسلام.

على الرغم من تسليمنا وإيماننا بحجية السنة، ومكانتها في التشريع الإسلامي، فأننا لا ننكر تنوع أسانيدها، واختلاف طرق تبويبها عن الرسول صلي الله عليه وسلّم، ودخول العديد من التحريف والوضع عليها، حتي أصبح التميز بين الصحيح وغيره منها أمراً بالغ العسر والشدة لغير المتخصصين فيها.

ومن هنا جاء تقسيم السنة – الحديث – عند علماء الإسلام – المحديثين

---

[1] سورة المائدة آية ٩٢.

[2] سورة النساء آية ٨٠

[3] سورة النساء آية ٦٥

١) أقسام السنة "الحديث" عند الأصوليين من حيث حجيتها في تقرير الأحكام التعبدية والعملية - تقسيم علماء الأصول "الحديث" إلى:-

١. **السنة المتواترة** " الحديث المتواتر" هي ماروها عن رسول الله صلي الله عليه وسلّم – جميع الصحابة يمتنع اتفاقهم على الكذب عادة، ثم رواها عن هذا الجمع جمع من تابعي التابعين يمتنع اتفاقهم على الكذب عادة[١].

شروط التواتر كثيرة من أهمها :-

١. أن يخبروا عن علم لا عن ظن

٢. أن يكون علم المخبرين ضرورياً مستند إلى محسوس

٣. أن يستوي طرفاه ووسطة في هذه الصفات وفي كمال العدد، فإذا نقل الخلف عن السلف وتوالت الأعصار "العصور" ولم تكن الشروط قائمة في كل عصر لم يحصل العلم بصدقهم، لأن خبر أهل كل عصر خبر مستقل بنفسه.

٤. أن يكون المخبرون قد انتهوا في الكثرة إلى حد يمتنع معه تواطؤهم على الكذب[٢].

وهذه الشروط محل خلاف بين العلماء إلا أن الرأي الراجح يري :-

يتحقق التواتر عند عدد معين من الرواه دون حصرهم في عدد معين، والمدار في ذلك يرجع إلى حكم العقل، فإذا قضي العقل بأن الرواه للحديث لا يتوهم اتفاقهم على الكذب عادة، كانوا من جموع التواتر من غير تقييد بعدد معين.

حكم الحديث المتواتر – السنة المتواترة:

---

[١] أصول الفقة الإسلامي أ.د / زكي الدين شعبان ص ٣٥ جـ ١٢ ١٩٠٧م – ١٩٨٥ دار الكتب الحديثة – القاهرة - مصر

[٢] انظر بالتفصيل الأحكام أصول الأحكام للإمام سيف الدين أبي الحسن على بن أبي على محمد الآمدي جـ١٦/٢ وما بعدها – مؤسسة الحلبي وشركاه ١٣٨٧- ١٩٦٧. أنظر كذلك إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول تأليف الإمام محمد بن على بن محمد الشوكاني ت ١٢٥٥ هـ - صـ ٤٦ وما بعدها. مصطفي البابي الحلبي ١٣٥٩هـ - ١٩٣٧م.

حكم السنة المتواترة – الحديث المتواتر – بإجماع الفقهاء أنها ثابتة عن سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلّم، قطعاً فيجب العمل بها، ولا مجال للإختلاف في الأحكام التي تدل عليها إلا إذا كان اللفظ فيها ظني الدلالة.

لكن يجب علينا الإقرار أن هذا النوع من السنة – ظني الدلالة – قليل جدا وبخاصة في السنن القولية، بل إن بعضاً من المحدثين قد أنكروا وجودها أصلاً في السنن القولية، ولكنها موجودة في السنة الفعلية – العملية – التي قام بها رسول الله صلي الله عليه وسلّم – عملياً وطبقها أصحابة أمامه ككيفية الوضوء، والصلاة، والحج وغيرها من شعائر الدين المذكورة إجمالاً في القرآن الكريم والمبسوطة تفصيلاً في السنة.

٢. السنة المشهورة (الحديث المشهور) هي – هو:

ما رواه عن الرسول صلي الله عليه وسلَم عدد من الصحابة لا يبلغ حد التواتر ثم تواترت في عهد التابعين وتابعي التابعين.

ومن هنا تكون السنة المشهورة غير مقطوع بنسبتها إلى الرسول صلي الله عليه وسلّم، إنما يقطع بنسبتها إلى الراوي لها من الرسول صلي الله عليه وسلّم.

حكمها:

حكم هذا النوع يفيد الطمأنينة والظن اليقين[١].

٣. سنة الآحاد – حديث الآحاد :

هي ما رواها عن الرسول صلي الله عليه وسلّم عدد لا يبلغ حد التواتر وكذلك في العصر الثاني والثالث

حكمها: إنها لا تفيد العلم وإنما تفيد الظن، ومن هنا لا يصلح الإعتماد عليها في الأحكام الإعتقادية، وإنما يعمل بها في الأحكام العملية إذا تحققت شروطها.

[١] انظر أصول الفقة الإسلامي أ/ زكي الدين شعبان صـ ٣٧.

وإذا كان هذا التقسيم للسنة يستند إلى روايتها لإستظهار مدي حجيتها في تقرير الأحكام التعبدية والعملية فإن للسنة تقسيماً أخر بحسب صدورها عن النبي صلي الله عليه وسلّم - ذاته

٢) أقسام السنة بحسب صدورها عن سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلّم

تنقسم إلى

١. **سنة قولية كالأحاديث** التي قالها سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلّم – شفاهة وسمعها منه أصحابة – رضي الله عنهم – سواء أكانت روايتهم لها بالسماع أو الكتابة.

٢. **سنة عملية :** وهي الصادرة عن فعله صلي الله عليه وسلّم – ذاته – كالوضوء، والصلاة، وشعائر الحج وتابعه الصحابة في ذلك وطبقوها أمامه صلي الله عليه وسلّم.

٣. **سنة تقريرية :** كأن يعلم الرسول صلي الله عليه وسلّم – بقول أو فعل فلا ينكره ولا ينهي عنه، وهذا النوع إما أن يكون بالسكوت وعدم الإنكار، وإما أن يكون بالسكوت مع الإستبشار.

٣) أقسام السنة من حيث المصادر الأصلية للشريعة الإسلامية (الإستدلال - الحجة) السنة باعتبارها من المصادر الأصلية للشريعة الإسلامية

* مكانتها في التشريع تأتي بعد القرآن الكريم، فلا يمكن اللجوء إليها إلا إذا لم يوجد في القرآن الكريم نص يوضح ذلك، لأن ثبوتها غالباً ما يكون ظنياً وثبوت القرآن قطعي.

* أما مكانتها من حيث التدليل – الإستدلال – فهي والقرآن سواء، لأنها أحد قسمي الوحي "القرآن والسنة".

٤) أقسام السنة من حيث الأحكام

منزلة السنة من الكتاب بالنسبة للأحكام الواردة فيها فإنها ترد على عدة وجوه منها:

١. أن تكون موافقة لما جاء في القرآن ومطابقة لما فيه من الأحكام فتكون بذلك مؤكدة للقرآن الكريم أو مقررة له.

٢. أن تكون شارحة للقرآن الكريم ومبينة لما جاء فيه من النصوص التي في حاجة إلى بيان وهي في هذه الحالة إما أن تكون:

* مفسرة لنصوص القرآن الكريم المجملة، أو مخصصة للعام منه، أو مقيدة لمطلقة.

* أن تكون ناسخة لحكم ثبت بالقرآن الكريم وفيها أراء متعددة لا مجال لذكرها هنا.

٣. أن تأتي السنة بحكم جديد سكت عنه القرآن الكريم كثبوت ميراث الجدة، ووجوب صدقة الفطر، ورجم الزاني المحصن وغيرها من الأحكام....

٥) تحديد المراد من المصطلحات الآتية :-

الحديث والسنة لفظان مترادفان متساويان، إلا أنه توجد بينهما بعض الفروق – لامجال لذكرها هنا - ويرادف الحديث الخبر، لأن التحديث يعني الإخبار.

وحديث الرسول صلي الله عليه وسلّم هو عبارة عن الخبر المرفوع إليه صلي الله عليه وسلّم إلا أننا يجب أن نلاحظ استعمال هذه المصطلحات الدقيقة في سياقها الواردة فيها :-

- قرر الأخبار : يعني بالدرجة الأولي بالحوادث التاريخية، والإخبار عنها، وإبلاغها من السلف إلى الخلف.

- الحديث : يراد به الأخبار المرفوعة إلى النبي صلي الله عليه وسلّم المروية عن طريق الرواه المشهود لهم بعد الإسلام بالعدالة، و البلوغ، والأمان، إن العدالة والضبط – وغيرها من الصفات العلمية والخلقية التي يمتاز بها كل زكوية وكل طالب علم يطبق المناهج العلمية الصحيحة، ومنهاج النقد في علوم الحديث على موضوع بحثه.

- الأثر : هو الأخبار المروية عن الصحابة والتابعين.

ملحوظة هامة : قد يرى جمهور المحدثين بتساوي هذه المصطلحات (السنة، الحديث، الخبر، والأثر) جميعاً في إفادة التحديث و الإخبار[1].

٦) <u>مسألة – قضية – تدوين الحديث</u>

تعددت أراء العلماء في – قضية – مسألة تدوين السنة من عدمه منهم :-

١. من أنكر تدوين الأحاديث حتي لا يختلط بالقرآن الكريم – ويستدلون على ذلك بأحاديث نبوية تؤيد وجهة نظرهم.

٢. ومنهم من أجاز ذلك ودلل على صحة رأيه بتلك الصحف المدونة – المكتوبة – والمنسوبة إلى بعض الصحابة في عهد النبي صلي الله عليه وسلّم وبعد أن أمرهم صلي الله عليه وسلّم بتدوين كل ما يقوله.

درس المستشرقون جميع القضايا الآتي بيانها، وناقشوا كل الأمور المتصلة بالحديث من حيث :

١. بيان مصطلحات الحديث والسنة

٢. الرحلة في طلب الحديث

٣. تحميل الحديث وصوره

٤. تدوين الحديث

٥. أقسام الحديث وتصنيفه إلى صحيح وضعيف وحسن

٦. درس المستشرقون نقد الحديث من حيث السند والمتن:

وأجمعوا على أن علماء الحديث اهتموا بسند الحديث وإن جاء متأخراً ولم يهتموا بمتنه.

وأخطر شبههم على الإطلاق الخامسة والسادسة، ولكن أخطرهم على الإطلاق الشبهة السادسة "المستشرقون ونقد الحديث". فإذا ما تهاوت تهاوت وراءها كل الشبه، ولأن الشبهة السادسة

---

[1] انظر علوم مصطلح الحديث أ.د صبحي الصالح ص وما بعدها بتصرف – دار العلم وانظر كذلك مباحث في علوم الحديث للشيخ متاع القطان صـ ٢١ وما بعدها مكتبة وهبة طـ١ ١١٠٨ هـ - ١٩٨٧م.

نتيجة للخامسة والخامسة سبب مباشر للشبهة السادسة ومن أجل ذلك سندرسها كمثال تطبيقي على ذلك .

وهذا ما سنبحثه – إن شاء الله تعالي في :-

ثانياً : تحديد الشبهة المراد دراسنها ومواجهتها:

المستشرقون ونقد الحديث. "شبهة نقد الحديث عند المستشرقين" وتشتمل على الأتي :

١. تصوير الشبهة وتحديدها
٢. تحديد من قالها
٣. صفوة القول
٤. الغاية من وراء ذلك
٥. ماذا يترتيب علي تلك الغاية "تحديد شعب الشبهة الثلاث".

١) تصوير الشبهة مع تحديد من قالها:

لقد انفق المستشرقون وقتاً طويلاً في الدراسات الأدبية و التاريخية وغيرها من الموضوعات ولكنهم :-

لم يتجهوا إلى دراسات الأحاديث النبوية إلا في وقت متأخر

١. لعل أول محاولة لها أهميتها هى ما قام به المستشرق "جولد تسهير" الذي نشر نتيجة بحثه سنة ١٨٩٠م بعنوان "دراسات إسلامية" باللغة الألمانية – وأصبح كتابه هذا في دائرة الإستشراق منذ ذلك الوقت حتي الآن "إنجيلاً مقدساً" يهتدي به الباحثون.
٢. بعد مضي ستين عاماً تقريباً على نشر كتاب "جولد تسهير" نشط البروفسور - شاخت وأمضي وقتاً طويلا – أكثر من عشرة أعوام – كما قيل – في البحث والتنقيب في الأحاديث الفقهية ونشر نتيجة بحوثه في كتابه "أصول شريعة محمد"

"أصول فقه محمد" وخلاصة ما وصل إليه من نتائج أنه : ليس هناك حديث واحد صحيح وبخاصة الأحاديث الفقهية.

وصار هذا الكتاب منذ ذلك الحين "إنجيلاً ثانياً" لعالم الإستشراق وفاق شاخت سلفه "جولد تسهير" حيث تميز نظريته التشكيكة في صحة الأحاديث إلى نظرية متيقنة في عدم صحتها.

٣. لم تنشر بحوث في السنة "الحديث". بأقلام المستشرقين في غضون ثلاثة أرباع قرن ما عدا هذين الكتابين – اللهم إلا عدة مقالات – وبعض كتب أخري تعالج موضوع الحديث النبوي من بعيد.

* فهناك كتاب الأنجليزية "لألفريد غيوم" والمسمى "بأحاديث الإسلام" وهو يعتمد إعتماداً كلياً على "جولد تسهير" وليس فيه أي جديد في الموضوع، لذلك فليس له أي قيمة علمية.

* أما البروفسور "ربسون" الذي قام بترجمة "مشكاة المصابيح" و "رد المدخل" للحاكم إلى الإنجليزية والذي عدل بعض أراء المستشرقين الخاطئة كان من المتوقع أنه – بعد ذلك - أن يسهم في هذا الميدان ويقترب من الحقيقة لكنه – للأسف الشديد تعصب لكتابات شاخت.

وهكذا بعدت الشقة – المسافة – بيني وبين فهم الموضوع على وجهه الصحيح

٢) صفوة القول أن الآحاديث النبوية لم يتجه إلى دراستها إلا عدد قليل جداً من المستشرقين وكانت لهم نتائج في هذا الميدان خطيرة جداً.

ومع ذلك : فإن بحوثهم لم تكن ناضجة ومناهج بحثهم لم تكن عملية حتي على الطريقة الغربية. ويمثل ذورة هذه الدراسات كتابات "شاخت" التي أصبحت من المصادر الأساسية لكتّاب الغرب حتي لكثيرين من كتاب – الشرق – أيضا – للأسف.

٣) الغاية من ذلك : لقد وجهوا سهام الطعن إلى السنة النبوية من جوانبها المختلفة.

* فمنهم من فسر السنة بمعني "الأمر المجمع عليه في الأوساط العلمية وليس معناها سنة النبي صلي الله عليه وسلّم".

* ومنهم من طعن حجية السنة النبوية وقيمتها التشريعية

* ومنهم من ادعي تأخر كتابة الأحاديث إلى قرن أو قرون، ثم استنتج من ذلك: أنه لا يمكن الإعتماد عليها، لأن الذاكرة – بضعفها الطبيعي – لابد أن تكون قد خانت في نقلها للأحاديث شفاها، وقصرت عن الحفاظ عليها خلال المدة الطويلة.

* ومن أثار الإرتياب في الأسانيد وقيمتها العلمية :-

- ادعي البعض أنها وجدت بشكل بدائي في نهاية القرن الأول ثم تطورت.

- وقال البعض الأخر : أنها بدأت في القرن الثاني واكتملت في القرن الثالث.

* وقال القائل كيف نقبل الأحاديث ونعتبرها صحيحة، وقد بلغ عددها سبعمائة ألف حديث، ألم يكن للنبي صلي الله عليه وسلّم – شغل إلا الكلام فقط ؟

* ومنهم من قال : لقد انتشر الكذب في الحديث، فبلغ في عهد البخاري حداً لم يجد بسببه إلا حديثاً واحد صحيحاً من كل مائة وخمسين حديثاً.

أفلا يحق لنا أن ننتقد هذه المجموعة – أيضا – مجموعة البخاري نفسها – فنختار منها ما نختار بالبحث والتحقيق، وندع ما ندع غير آسفين أن لنا قدوة في البخاري ؟

ولقد تجمعت هذه الأفكار كلها- إن لم تكن كلها، فتجسدت في كتابات شاخت الذي اكتشف بعد جهد مضني أنه ليس هناك حديث واحد.صحيح وبخاصة في الأحاديث الفقيهة.

وأنها في الواقع على حد علمه – كلام علماء المسلمين من القرن الثاني والثالث الهجريين وأقاويلهم ووضعت علي لسان النبي صلي الله عليه وسلّم زوراً وبهتاناً[1].

٤) ماذا يترتب على تلك الغاية "تحديد شعب الشبهة الثلاث"

من تلك الغاية السابقة وتلك النتيجة التي توصلوا إليها – من وجهة نظرهم – نري أن الشبهة تشعبت إلى ثلاث شعب.

فنحن الآن أمام شبهة واحدة

* ليس هناك حديث واحد صحيح وبخاصة في الأحاديث الفقهية

* السنة من وضع علماء الإسلام "الحديث" من القرن الثاني والثالث الهجريين.

تفرعت وتشعبت شعب ثلاث هي :-

الشعبة الأولي : وضع "اختلاق" الأحاديث :

المسملون وضعوا أحاديث تحض على عدم وضع – اختلاق – الأحاديث

أي أنهم عالجوا وضع الحديث بوضع "اختلاق" أحاديث أخري تناقضها والهدف من ذلك :-

- مقاومة وضع – اختلاق- الأحاديث
- مواجهة من ينكر حجية السنة
- التشكيك في عدالى الصحابة
- نحن نكذب له لا عليه
- كلمة متعمد "غير موجودة"
- الحديث غير متواتر

[1] انظر بالتفصيل دراسات في الحديث النبي وتاريخ تدوينه أ.د/ محمد مصطفي الأعظمي جـ١ صـ م ط١/٢) ١٤٠١هـ ١٩٨١م. إدارة البحوث العلمية والإفتاء – مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية

- رأي بشرية الحديث "البشرية والوحي"

الشعبة الثانية : البعد الخارجي للحديث "الإسناد"

لقد اهتم المسلمون بدراسة "سند الحديث" "الإسناد" "النقد الخارجي للحديث" ولكن جاء متأخراً جدا وتطور على حسب تطور المجتمع.

الشعبة الثالثة :النقد الداخلي للحديث "متن الحديث"

إذا كان المسلمون قد اهتموا بنقد سند الحديث متأخرين في ذلك.

فإنهم لم يهتموا مطلقاً بنقد الحديث داخلياً "نقد متن الحديث"

أذن فنحن أمام شبهة واحدة تشعبت إلى شعب ثلاث هي :

١. **الشعبة الأولي :** وضع الأحاديث – لمقاومة وضع – اختلاق – الأحاديث
٢. **الشعبة الثانية :** النقد الخارجي للحديث "نقد السند" جاء متأخراً وتطور على حسب تطور المجتمع.
٣. **الشعبة الثالثة :** النقد الداخلي للحديث "نقد متن الحديث" لم يحدث نهائياً.

وسنواجه كل شعبة من هذه الشعب فيما يأتي :-

الشعبة الأولي "وضع الحديث" ومواجهتها ونقدها.

أولا : وضع الحديث ويشتمل على :-

١. تحديد وتصوير الشعبة
٢. تحديد من قالها
٣. الأدلة على صحة هذه الشعبة – من الشبهة – الوضع في الحديث – على حسب وجهة نظرهم

* الحديث "من كذب على متعمدا..."

* نحن نكذب له لا عليه

٤. الهدف والغاية من هذا الوضع

* مقاومة الوضع – الإختلاق- في الأحاديث

* مواجهة من ينكر حجية السنة

* التشكيك في عدالة الصحابة

* الحديث ليس متواتراً.. زيادة كلمة متعمداً

* بشرية السنة – الحديث – الأحاديث موضوعة – مختلقة- بشرية الرسول صلي الله عليه وسلّم وكذلك الوحي.

ثانيا : المواجهة – النقد – مواجهة الشعبة الأولي – الوضع في الأحاديث

ويشتمل على :-

١. ذكر سند الحديث – سلسلة رجال الحديث – وعدالتهم ورأي علماء الحرج والتعديل فيهم.

٢. ذكر متن الحديث – ورواياته – مرويات – وبيان تنوعها.

٣. ما يشتمل عليه (الحديث من نتائج وأحكام)

٤. مواجهة دعوي "نحن نكذب له لا عليه"

٥. تحديد أصناف الوضاعين

٦. تحديد سمات الوضع في الحديث

أ- علامات الوضع في السند – السلسلة

ب- علامات الوضع في المتن

٧. تحديد جهات الوضع

نتيجة ذلك كله

نقول وبالله التوفيق ..

الشعبة الأولي : وضع الحديث

أشار المستشرقون إلى جهود علماء الإسلام في تنقية الأحاديث وبيان صحيحها من موضوعها وسقيمها- ولكن من وجهة نظرهم – وليس من وجهه نظرهم – جهود علماء الإسلام أنفسهم وسنتناول ذلك فيما يأتي :-

أولا : وضع الحديث ويشتمل على :-

١. تحديد وتصوير الشعبة :

إن المسلمين وضعوا أحاديث تحرض على عدم وضع الأحاديث.

أي أنهم عالجوا وضع الأحاديث بوضع أحاديث تناقضها.

٢. تحديد من قاله "جولد تسهير"

يقول جولد تسهير "إن أسهل وسيلة لجأ إليها المسلمون الأنقياء في الدفاع عن الأحاديث الصحيحة هي اختراعهم أحاديث موضوعة لمكافحة الأحاديث الموضوعة بحيث تكون الأحاديث قاسية جداً في مواجهة واضعي الأحاديث المزورة والتي تهدد الوضاعين المسلمين بالعذاب، وبئس المصير لأولئك الذين يتعمدون الكذب على رسول الله صلي الله عليه وسلّم".

٣. الأدلة على صحة هذه الشعبة – من الشبهة – الوضع في الحديث – على حسب وجهة نظر المستشرقين:

١) ما أخبر عنه المسلمون من الحديث القائل "من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" هذا الحديث موضوع.

سمات وضعه، قد روي هذا الحديث بألفاظ، مختلفة، رواه أكثر من أربعة وعشرين صحابياً وأن هذا الحديث موضوع ولم يكن معروفاً زمن الرسول، لأنه

روي بألفاظ مختلفة، وطرق متعددة، وظهر هذا الوضع حتي في عهد الرسول وكذبوا عليه قبل وفاتة

٢) نحن نكذب له لا عليه

٣) الهدف والغاية من ذلك :

١. مقاومة الوضع والإختلاق في الأحاديث

٢. مواجهة من ينكر صحة السنة النبوية

٣. التشكيك في عدالة الصحابة

٤. الحديث موضوع وبالتالي بشرية الأحاديث

٥. التشكيك في الوحي وبالتالي في النبوة – بشرية الحديث – محمد بشر اختلق الحديث من عنده

ثانيا : المواجهة – النقد – مواجهة الشعبة الأولي – الوضع في الأحاديث ويشتمل على :-

١. ذكر سند الحديث " سلسلة رجال من رووه " – وعدالتهم ورأي علماء الجرح والتعديل من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.

٢. يقول الإمام محمد بن عبدالباقي الزرقاني في كتابه "مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة"[١] عن هذا الحديث:

"حديث متواتر وطرقه جاوزت المائة"

٣. يقول الإمام العجلواني عن هذا الحديث :

[١] مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للإمام محمد بن عبدالباقي الزرقاء في صـ ٣٠٦ ط١(٢) أ.د. محمد بن لطفي الصباغ مكتب التربية العربي لدول الخليج – الرياض المملكة العربية السعودية عام ١٤٠٣

متفق عليه عن على، والبخاري عن سلمة مرفوعاً، وهو متواتر، وأفرد جمع من الحفاظ طرقه حتي قال ابن الجوزي، رواه عن النبي صلي الله عليه وسلّم ثمانية وتسعون صحابياً فيهم خير البرية المبشرون بالجنة، وذكر ابن دحية أنه خرج من نحو أربعمائة طرق ومنها (من نقل عني ما لم أقله فليتبوأ مقعده من النار).

قالوا : وهذا أصعب ألفاظه وأشفها لشموله للمصحف واللجان، والمحرف[1].

٤. يقول صاحب الفتح الكبير[2] عن هذا الحديث.

١) رواه (حم) أحمد في مسنده، (ف) البخاري ومسلم، (ت) الترمذي، (ن) النسائي، (هـ) ابن ماجة عن أنيس بن مالك.

٢) رواه (حم) أحمد في مسنده، (خ) البخاري، (د) أبي داود، (ن) النسائي عن الزبير.

٣) رواه (م) مسلم عن أبي هريرة.

٤) رواه (ت) الترمذي عن على، عن ابن مسعود

٥) رواه (حم) أحمد في مسنده، (هـ) ابن ماجه عن جابر.

٦) رواه (حم) أحمد في مسنده، (ال) الحاكم في مستدركه، عن خالد بن عمر قطة، زيد بن الأرقم.

٧) رواه (حم) أحمد في مسنده، عن سلمة بن الأكوع، عن عقبة بن عامر، وعن معاوية بن أبي سفيان.

٨) رواه (طب) الطبري في الكبير عن السائب عن يزيد، وعن سلمان عن خالد الخزاعي، وعن صهيب، وعن طارق عن أشيم، وعن طلحة بن عبدالله، وعن ابن

---

[1] كشف الخفا ومزيل الإلتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للمفسر (المحدث الشيخ اسماعيل محمد العجلواني ت ١١٦٢ هـ - حـ٢ ٣٨٦ مكتب الوزرات الإسلامي حلب - سوريا)

[2] الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير وهما لجلال (السيوطي قد ترجما وأحسن تربيتها العلامة الفصل الشيخ يوسف التهامي حـ ٣، ٢٣٥١ مطبعة الياس الحلبي وأولاده ١٣٥٠م.

عباس، وعن ابن عمر وعن عقبة بن غزوان، وعن العرس بن عميرة، وعن عمار بن ياسر، وعن عمران بن حصين.

وعن المغيرة بن شعبة، عن يعلي عن مسرة، وعن أبي عبيدة بن الحراج، و ... [1]

٥. يقول الإمام أبو العيض محمد مرتضي الحسيني الزبيدي في كتابه لفظ اللالئ المتناثرة في الإحاديث المتواترة[2] يقول في هذا الحديث.

وجدت بخط الحافظ السخاوي ما نصه (قال أن الملقن ابن يوسف عن خليل قال :- بلغ رواة هذا الحديث فوق السبعين/ وقال أبو بكر الصيرفي في شرح الرسالة "رواه أكثر من ستين" وقال أن درجة في كلامه على الحديث روي عن نحو تسعين صحابياً، وخرج من نحو أربعمائة طريق وتسع وستين رواية).

٦. يقول الإمام النووي في شرح حديث مسلم:

"أما بالنسبة لأسانيده: في موثقة[3]"

٧. يقول الإمام ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري:

روي بأسانيد حسان عن طريق ثلاث وثلاثين نفساً من الصحابة ثم يقول "ومن أجل كثرة طرق الحديث أطلق عليه جماعة أنه متواتر".

ونازع بعض مشايخنا في ذلك قال: لأن شرط التواتر استواء طرفيه ومابينهما في الكثرة، وليست موجودة في كل طريق منها بمفردها.

---

[1] انظر الفتح الكبير حـ٢٣٥١/٣ ستجد الكتب التي أوردته أربعة عشر كتاباً – الإمام أحمد في مسنده، البخاري و مسلم، الترمذي، النسائي، ابن ماجه، البخاري، أبو دواد، مسلم، الحاكم في مستدركه، الطبراني في الكبير، الطبراني، الأوسط، الدارقطني، الخطيب، البغدادي، ابن عدل الكامل وحضرت من رواه في هذه الكتب فوجدته ٥٧ سبعة وخمسين صحابياً، فهل بعد ذلك صحة لمدعي بأن هذا الحدبث موضوع داخلية.

[2] لفظ اللالئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة تصنيف أن الفضين محمد مرتضي الحسين الزبيدي القاهرة تاج العروس ٢٦٩:٢٨١ تجد أسماء من رووها الحديث ٩٩ اسماً تسعة رواية – كضيف محمد عبدالقادر عطا ط١ ١٤٠٥ هـ دار الكتب العلمية – بيروت –لبنان . فتح الباري حـ ٢٠٣/٢ وانظر بتفصيل أوسع عن سند الحديث، ورجالة – لطائف إسناده ومن خرجه عمدة القارئ حـ١٢٠/٢

[3] صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ط١: ٥٧

أجيب بأن المراد بإطلاق كونه متواتراً رواته المجموع من المجموع من ابتدائه إلى انتهائه في كل عصر وهذا إفادة العلم.

* وأيضاً فطريق "أنس بن مالك" وحدها رواها العدد الكثير وتواترت عنهم.

* أيضاً حديث "على بن أبي طالب" رواه ستة من مشاهير التابعين وثقاتهم.

* وكذا حديث "بن مسعود" و "أبي هريرة" و "عبدالله بن عمرو".

فلو قيل في كل منها إنه متواتر عن صحابين لكان صحيحاً، فإن العدد المعين لا يشترط في التواتر، بل ما أفاد العلم كفي، والصفات العلمية في الرواه تقوم مقام العدد أو تزيد علية كما قررته كتب الحديث[1].

مما سبق نستنتج أن :

- عدد من رووا الحديث يتراوح ما بين (٦٠، ٦٩، ٧٠، ٩٨، ١٠٠)
- طرق روايته جاوزت ١٠٠ طريقة، وقيل ٤٠٠ طريقة.
- عدد من رواه من الصحابة ٥٧ صحابياً فيهم العشرة المبشرون بالجنة.
- أسانيدة موثقة
- الكتب التي روته ١٤ أربعة عشر كتاباً
- سند الحديث متواتر
- اذن ليس موضوعا ولا مختلقاً من حيث إسناده ورجاله ثقات.

ذكر متن الحديث ورواياته ... درجته:

١. ذكر المتن الذي ذكرته في الكتب السابقة

[1] فتح الباري حـ٢/٢٠٣ وانظر بتفصيل أوسع عن سند الحديث، ورجالة – لطائف اسناده ومن خرجه عمدة القارئ حـ٢/١٢٠

"من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" وهي موجودة في صحيح الإمام مسلم.... النووي

٢. إذا توجهنا إلى صحيح الإمام مسلم بشرح الإمام النووي [١]، لوجدناه يذكر "باب تغليظ الكذب على رسول الله صلي الله عليه وسلّم" يذكر روايات:

١) رواية المغيرة بن شعبة

"من حدث عني بحديث يري أنه كذب فهو أحد الكذابين"

٢) رواية سيدنا على – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلّم

"لا تكذبوا على فإنه من كذب على يلج النار"

٣) رواية سيدنا "أنس بن مالك" رضي الله عنه

أنه قال : إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثاً كثيراً أن رسول الله صلي الله عليه وسلّم قال : "من تعمد على كذباً فليتبوأ مقعده من النار".

٤) رواية سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال "قال رسول الله صلي الله عليه وسلّم من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار".

٥) رواية المغيرة أمير الكوفة قال : سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلّم يقول "إن كذباً علي ليس ككذب على أحد، فمن كذب علي فليتبوأ مقعده من النار".

٦) رواية المغيرة بن شعبة عن النبي صلي الله عليه وسلّم "بمثله" ولم يذكر "أن كذباً على ليس ككذب على أحد".

"من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار".

٣. إذا توجهنا إلى الإمام فتح الباري بشرح صحيح البخاري :

لوجدناه يذكر "باب إثم من كذب على النبي صلي الله عليه وسلّم" : روايات الحديث

---

[١] حـ١/٥٩

١) رواية سيدنا على كرم الله وجهه هي كما في صحيح مسلم

٢) رواية سيدنا أنس بن مالك ... رضي الله عنه هي كما هي في صحيح مسلم

٣) رواية سيدنا أبي هريرة هي كما هي ولكن في رواية البخاري منها زيادة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلّم قال :

"تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي ومن رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" وقد اقتصر الإمام مسلم في روايته على الجملة الأخيرة. وهو مقصود الناس "من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"

- انفرد الإمام البخاري بروايتين هما الرابعة والخامسة.

٤) رواية عبدالله بن الزبير عن أبيه قال "قلت للزبير إني لا اسمعك تحدث عن رسول الله صلي الله عليه وسلّم كما يحدث فلان وفلان، قال: أما إني لم أفارقه، لكن سمعته يقول : من كذب على فليتبوأ مقعده من النار"

٥) رواية يزيد بن أبي عبيد عن مسلمة قال : سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلّم يقول "من يقل على ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار[١]"

وانفرد الإمام مسلم بروايات المغيرة بن شعبة تحت رقم ١،٥،٦ فارجع إليها هناك.

الحكمة من ترتيب هذه الأحاديث على هذا المنوال الذي رتبت عليه :

رتب المصنف أحاديث الباب ترتيباً حسناً، لأنه :-

- بدأ بحديث على – رضي الله عنه، لأنه مقصود الباب.
- وثنى بحديث "الزبير" الدال على توقي الصحابة – رضوان الله عليهم – وتحرزهم من الكذب عليه صلي الله عليه وسلّم.

[١] فتح الباري حـ ١/٢٠٣

- وثلّث بحديث "أنس" رضي الله عنه، لأنهم مأمورين بالتبليغ

- وختم بحديث "أبي هريرة" الذي فيه الإشارة إلى تحريم الكذب - عليه صلي الله عليه وسلّم سواء كانت دعوي السماع منه في اليقظة أو في المنام[1].

درجة متن الحديث :

هو حديث صحيح من جهة المتن متواتر من جهة إسناده.

يقول الإمام النووي عنه "هو حديث عظيم في نهاية الصحة".

وقيل إنه متواتر ولا يعرف حديث اجتمع على روايته العشرة إلا هذا ولا حديث يرد عن أكثر من ستين صحابياً إلا هذا، وقال بعضهم رواه مائتان من الصحابة ثم لم يزل في ازدياد، وهو حديث متفق عليه.

وقد اتفق البخاري ومسلم على إخراجه في صحيحيهما من حديث على والزبير وأنس وأبي هريرة وغيرهما[2].

وانفرد الإمام البخاري برواية عن عبدالله بن الزبير عن أبيه قال " قلت إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلي الله عليه وسلّم كما يحدث فلان وفلان بحال أما إني لم أفارقه، ولكن سمعته يقول : من كذب على فليتبوأ مقعده من النار".

ورواية يزيد بن أبي عبيد عن سلمة قال "سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلّم يقول : من يقل على ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار".

وانفرد الإمام مسلم بروايات المغيرة بن شعبة.

وقد أخرج البخاري "حديث من كذب على " أيضاً من حديث المغيرة وهو في باب الجنائز ومن حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، ومن حديث وائلة بن الأسقع وهو في مناقب قريش واتفق مسلم معه عل تخريج حديث على وأنس وأبي هريرة والمغيرة وأخرجه مسلم من حديث "أبي سعيد".

---

[1] المرجع السابق نفسه حـ١/٢٠٣ وانظر عمدة القارئ حـ٢/١٢٠

[2] صحيح مسلم شرح الإمام النووي جـ١/٥٧

وصح أيضاً في غير الصحيحين من حديث عثمان بن عفان، وابن مسعود، وابن عمر، وأبي قتادة، وجابر بن أرقم[1] رضي الله عنهم جميعاً.

وروي أيضاً بأسانيد حسان عن طريق ثلاثة وثلاثين من الصحابة[2].

وبناء على ذلك : فدرجة الحديث "هو حديث" صحيح، وحسن فمن أبي دواد الصحاح على والزبير، ومن الحسان طلحة، سعد، سعيد، وأبو عبيدة، فهو حديث صحيح عن طريق أربعة عشر صحابياً وهو حديث حسن عن طريق ستة عشر صحابياً[3].

فهل بعد هذا كلام لمتقول شبهة لمدع ؟.

٤. ما يشتمل عليه الحديث من نتائج وأحكام

هذا الحجيث يشتمل على فوائد وجمل من القواعد هي :-

١) تقرير هذه القاعدة لأهل السنة "إن الكذب يتناول إخبار العامد والساهي عن النبي بخلاف ماهو"

٢) تعظيم الكذب عليه صلي الله عليه وسلّم وأنه فاحشة عظيمة وموبقة كبيرة ولكن لا يكفر بهذا الكذب إلا أن يستحله – هذا هو المفهوم في مذاهب العلماء والطوائف وقال الشيخ أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين أبي المعالي من أئمة أصحابنا :- "يكفر بتعمد الكذب عليه صلي الله عليه وسلّم – حكي إمام الحرمين عن والده هذا المذهب، وضعف إمام الحرمين هذا القول، وقال :إنه لم يردّه لأحد من الأصحاب"[4].

٣) إن من كذب على رسول الله صلي الله عليه وسلّم عمداً في حديث واحد فسق وردت روايته كلها وبطل الإحتجاج بجميعها وهذا في حالة عدم توبته.

---

[1] فتح الباري جـ٢٠٣/١

[2] انظر المرجع السابق جـ٢٠٣/٢ وانظر كذلك عمدة القارئ بالتفصيل جـ٢ صـ ١١٦:١٠٨ – وانظر بالتفصيل قواعد الحديث من فنون مصطلح الحديث للإمام محمد

[3] عمدة القارئ جـ١٢٠/٢

[4] صحيح مسلم بشرح النووي جـ٥٧/١، وانظر كذلك عمدة القارئ جـ١٠٧/٢

فأما من تاب وحسنت توبته فتعددت أراء العلماء فيه :-

وقال جماعة من العلماء منهم الإمام أحمد بن حنبل، وأبو بكر الحميدى شيخ البخاري وصاحب الشافعي، وأبو بكر الصيرفي من فقهاء أصحابنا الشافعيين وأصحاب الوجوه منهم ومعتقديهم في الأصول والفروع:

لا تؤثر توبته في ذلك ولا تقبل روايته أبداً بل يحتم جرحه دائماً . . . يضعف هذا الرأي الإمام النووي فيقول :- الذي ذكره هؤلاء الأئمة ضعيف مخالف للقواعد الشرعية.

والمختار القطع بصحة توبته في هذا قبول رواياته بعدها إذا صحت توبته بشروطها المعروفة وهي الإقلاع عن المعصية والندم على فعلها والعزم على أن لا يعود إليها. فهذا هو الجاري على قواعد الشرع، وقد أجمعوا على صحة رواية من كان كافراً فأسلم[1].

٤) أما بالنسبة لتوقف الزبير وأنس وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم في الرواية عن رسول الله صلي الله عليه وسلّم والإكثار منها:

فلكونهم خافوا الغلط والنسيان، والغالط والناسي وإن كان لا إثم عليه فقد ينسب إليه تفريط لتساهلة أو نحو ذلك.

وقد تعلق بالناس بعض الأحكام الشرعية كغرامات المتلفات وانتقاض الطهارات وغير ذلك من الأحكام المعروفات[2].

٥) يحرم رواية الحديث الموضوع على من عرف كونة موضوعاً أو غلب على ظنه وضعه، فمن روي حديثاً علم أو ظن وضعه ولم يبين حال روايته وضعه فهو داخل في هذا الوعيد، ومندرج تحت جملة الكذابين على رسول الله صلي الله عليه وسلّم.

ولهذا قال العلماء :

ينبغي لمن أراد رواية حديث أو ذكره فإن كان صحيحاً أو حسناً قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلّم كذا أو فعله أو نحو ذلك من صيغ الجزم وإن كان ضعيفاً فلا يقل

---

[1] انظر المرجع السابق نفسه جـ١ /٥٨

[2] صحيح مسلم بشرح النووي جـ١/٦٠

: قال، أو فعل، أو نهي وشبه ذلك من صيغ الجزم بل يقول روي عنه كذا، وجاز عنه كذا، ويروي، أو يذكر أو يحكي أو يقال : بلغنا وما سمعته انظر كيف حكم الفقهاء على من روي الحديث الموضوع "من مكان عندنا".

٦) قال العلماء وينبغي لقارئ الحديث أن يعرف من النحو واللغة وأسماء الرجال ما يسلم به من قوله ما لم يقال، وإذا صح في الرواية ما يعلم أنه خطأ فالصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف إنه يرويه على الصواب ولا يغيره في الكتاب لكن يكتب في الحاشية إنه وقع في الرواية كذا وأن الصواب خلافه وهو كذا ويقول عن الرواية كذا وقع في هذا الحديث أو روايتنا والصواب كذا فهذا أجمع للمصلحة، فقد يعتقده خطأ ويكون له وجه يعرفه غيره، ولو فتح باب تغيير للكتاب لتجاسر عليه غير أهله.

قال العلماء : وينبغي للراوي وقارئ الحديث إذا اشتبه عليه لفظة فقرأها على الشك أن يقول عقيبه "أو كما قال: والله أعلم"[١].

٥. **أما بالنسبة للدعوي القائلة بأننا نكذب له لا عليه :-** دعوي فرقة مبتدعة – فقد واجهها العلماء بشدة وصرامة فقالوا "لا فرق في تحريم الكذب عليه صلي الله عليه وسلّم بين ما كان في الأحكام وما لا حكم فيه كالترغيب والترهيب والمواعظ وغير ذلك فكله حرام ومن أكبر الكبائر وأقبح القبائح بإجماع المسلمين الذي يُعتد بهم في الإجماع".

خلافاً للكرامية الطائفة المبتدعة في زعمهم الباطل أنه يجوز وضع الحديث في الترغيب والترهيب وتابعهم على هذا كثيرون من الجهلة الذين ينسبون أنفسهم إلى الزهد أو ينسبهم مثلهم.

وشبهة زعمهم الباطل أنه جاء في رواية:

"من كذب على متعمداً ليضل به فليتبوأ مقعده من النار"

وزعم بعضهم أن هذا كذب له لا عليه.

[١] المرجع السابق نفسه جـ١/٦٠

هذا الرأي الذي انتحلوه وفعلوه واستدلوا به غاية الجهالة ونهاية الغفلة وأدل الدلالة على بعدهم عن معرفة شئ من قواعد الشرع وقد جمعوا فيه جملاً من الأغاليط اللائقة بعقولهم السخيفة البعيدة الفاسدة.

* فخالفوا في قول الله عز وجل " وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً " سورة الإسراء آية رقم ٣٦.

* وخالفوا صريح هذه الأحاديث المتواترة والأحاديث الصريحة المشهورة في إعظام شهادة الزور.

* وخالفوا إجماع أهل الحل والعقد وغير ذلك من الدلائل القطعيات في تحريم الكذب على آحاد الناس، فكيف بمن قوله شرع وكلامه؟.

* إذا نظر في قولهم وجد كذباً على الله تعالي لقوله وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى " سورة النجم أيه ٣:٤.

* ومن أعجب الأشياء قولهم هذا كذب له وهذا جهل فهم بلسان العرب وخطاب الشرع، فإن كل ذلك عندهم "العرب" كذب عليه.

أما الحديث الذي تعلقوا به، فأجاب العلماء عنه بأجوبة أحسنها وأحضرها :

١) إن قوله "ليضل الناس" زيادة باطلة اتفق الحفاظ علي إبطاله وأنها لا تعرف صحيحة بحال.

٢) إن اللام في "ليضل" ليست لام التعليل بل هي لام "الصيرورة العاقبة" ومعناه : أن عاقبة كذبه ومصيره إلى الإضلال به كقوله تعالي " فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُواً وَحَزَناً . . . " سورة القصص آية رقم ٨.

٣) يقول أبو جعفر الطحاوي "لو صحت لكانت للتأكيد كقوله تعالي : مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِّيُضِلَّ النَّاسَ . . ." سورة الأنعام آية رقم ١٤٤.

وعلى الجملة فمذهبهم أضعف وأقل من أن يعتني بإيراده وأبعد من أن يهتم بأبعاده وأفسد من أن يحتاج إلى إفساده[1].

وقد اختلف في وصله وإرساله ورجح الدارقطني والحاكم إرساله وإخرجه الدرامي من حديث يعلي بن مرة بسند ضعيف.

٦. أصناف الوضاعين :

١) قوم زنادقة كالمغيرة بن سعيد الكوفي، ومحمد بن سعيد المصلوب أراد إيقاع الشك في قلوب الناس فرووا أحاديث كثيرة منها : أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي إلا أن يشاء الله

٢) قوم متعصبون

١. فمنهم من تعصب لسيدنا على ابن أبي طالب فوضعوا فيه الأحاديث.
٢. وقوم تعصبوا لسيدنا معاوية بن أبي سيفان ورووا له أشياء.
٣. وقوم تعصبوا لأبي وهكذا.
٤. وقوم وضعوا أحاديث الترغيب والترهيب[2].

٧. القواعد لمعرفة الموضوع من الحديث "تحديد سمات الموضوع في الحديث" :

وكما وضع العلماء قواعد دقيقة لمعرفة الصحيح والحسن والضعيف من الحديث وضعوا قواعد لمعرفة الموضوع منه، وذكروا ما يدل على الوضع في سند الحديث، وما يدل عليه في سننه.

١) علامات الوضع في السند :-

١. إقرار واضعه
٢. ما ينزل منزلة إقراره
٣. أو قرينته في حال الراوي أو المروي

---

[1] انظر صحيح مسلم بشرح الإمام النووي جـ١/٥٩ وانظر كذلك عمدة القارئ جـ١٠٨/٢

[2] عمدة القارئ جـ١١١/٢

٤. ركاكة اللفظ

٥. روايته عمن لم يذكره

ولا يخفي ذلك على أهل هذا الشأن.

وقد قيل لعبدالله بن المبارك هذه الأحاديث الموضوعة قال : يعيش لها الجهابذة[١]

[١] عمدة القارئ جـ١١١/٢/ و انظر كذلك بالتفصيل السنة قبل التدوين أ/محمد .... ص ٢٣٩

٢) علامات الوضع في المتن :

مقدمة :

قال الإمام بن قيم الجوزية هل يمكن معرفة الحديث بضابط، من غير أن ينظر في سنده؟

فهذا سؤال عظيم القدر. وإنما يعلم ذلك من تضلع في معرفة السنة الصحيحة واختلطت بدمه ولحمه، وصار له اختصاص شديد المعرفة بالسنة والآثار، ومعرفة سيرة الرسول صلي الله عليه وسلّم وهديه، فيما يأمر به وينهي وعنه، ويخبر عنه ويدعو إليه، ويحبه ويكرهه، ويشرعه للأمة بحيث كأنه مخالطاً للرسول صلي الله عليه وسلّم كواحد من أصحابه.

ومثل هذا يعرف من أحوال الرسول صلي الله عليه وسلّم وهديه وكلامه، وما يجوز أن يخبر عنه، وما لا يجوز – ما لا يعرفه غيره. وهذا شأن كل متبع مع متبوعه فللأخص به، الحريص على تتبع أقواله وأفعاله في العلم بها، والمتميزين ما يصح أن ينسب إليه وما لا يصح: ما ليس لمن لا يكون كذلك.

وهذا شأن المقلدين مع أئمتهم ويعرفون أقولهم ونصوصهم ومذاهبهم[١].

وهي كثيرة جدا ذكرها الإمام بن القيم في كتاب المنار نقتطف منها ونحلل الباقي كمثال[٢]

١) ركاكة الفاظ الحديث وسماجتها، بحيث يمجها السمع، ويسمج معناها الفطن كحديث "أربع لا تشبع من أربع : أنثي من ذكر، وأرض من مطر، وعين من نظر، وأذن من خبر".

٢) تكذيب الحس له كحديث "الباذنجان لما أكل له" و الباذنجان شفاء من كل داء، قبح الله واضعها.

---

[١] المنار تصنيف الإمام العلامة المحقق أبي عبدالله محمد بن أبي بكر قيم الجوزية ٦٩١ – ٧٥٢ هـ مطبعة السنة المحمدية .. ص ١٥

[٢] المرجع السابق ص ١٥:٦٠ وهو مهم مقيد فارجع إلى كتاب السنة قبل التدوين أ/ محمد على الخطيب ص ٢٤٢:٢٤٨ ملحق من المختار

٣) سماجة الحديث وكونه مما يسخر منه، كحديث "لو كان الأرز رجلا لكان حليماً ما أكله جائع إلا أشبعه" فهذا السجع البارد الذي يصان عنه كلام العقلاء فضلاً عن سيد الأنبياء.

٤) مناقضة الحديث لما جاءت به السنة مناقضة بينه، فكل حديث يشتمل على فساد أو ظلم أو عيب أو مدح أو ذم أو نحو ذلك فرسول صلي الله عليه وسلّم برئ منه.

من هذا الباب : أحاديث مدح من أسمه محمد وأحمد وإن كل من يسمي بهذه الأسماء لا يدخل النار.

وهذا مناقض لما هو معلوم من دينه صلي الله عليه وسلّم أن النار لا يجار منها بالأسماء والألقاب وإنما النجاة منها بالإيمان والأعمال الصالحة.

٥) ومنها أن يدعي على النبي صلي الله عليه وسلّم أنه فعل أمراً ظاهراً بمحضر من الصحابة كلهم، وأنهم اتفقوا على كتمانه ولم ينقلوه كما يزعم أكذب الطوائف: أنه صلي الله عليه وسلّم أخذ بيد على بن أبي طالب رضي الله عنه بمحضر من الصحابة كلهم، وهم راجعون من حجة الوداع، فأقامه بينهم حتي عرفه الجميع ثم قال "هذا وصي وأخي والخليفة من بعدي، فاسمعوا له وأطيعو له" ثم اتفق الكل على كتمان ذلك وتغييره، فلعنة الله على الكاذبين.

٦) ومنها أن يكون الحديث باطلا في نفسه فيدل بطلانه على أنه ليس من كلام الرسول صلي الله عليه وسلّم. كحديث "المجرة التي في السماء من عرف الأفعي التي تحت العرش".

٧) ومنها مخالفة الحديث صريح القرآن ، كحديث مقدار الدنيا "وأنها سبعة آلاف سنة ويحيي في الألف السابقة".

وهذا من ابين الكذب لأنه لو كان صحيحاً لكان عالماً أنه قد بقي للقيامة من وقتنا هذا مائتان وإحدي وخمسون سنة، الله تعالي يقول " يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِ لاَ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ

لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ " الأعراف آية رقم ١٨٧[١].

٣) تحديد جهات الوضع

١. يكون من كلام نفسه

٢. يأخذ كلاما من مقالات بعض الحكماء أو كلام بعض الصحابة فيرفعه

٣. ربما أخذوا كلاماً للتابعين فزادا فيه رجلا فرفعوه

٤. قوم من المجروحين عمدوا إلى أحاديث مشهورة عن النبي صلي الله عليه وسلّم بأسانيد معروفة وضعوا لها غير تلك الأسانيد

٥. قوم عندهم غفلة إلا لقنوا وتلقنوا

٦. قوم ضاعت كتبهم فحدثوا من حفظهم على التخمين

٧. أقوام كثيرة ليسوا من أهل هذا الشأن

٨. وقوم سمعوا مصنفات وليست عندهم فحملهم على أن حدثوا عن كتب مشتراه ليس لهم فيها سمع ولا مقابلة[٢].

[١] ارجع بالتفصيل إلى كتاب المنار للعلامة ابن قيم الجوزية ٦٠:١٥ تجد فيه ما يشفي غليلك ويشرح صدرك في هذا الباب. انظر بالتفصيل قواعد التحديث مع فنون مصطلح الحديث للإمام محمد جمال الدين الفاسي دار إحياء السنة النبوية بجون تاريخ ص ١٥٠

[٢] انظر بالتفصيل عمدة القارئ جـ١١١/٢ لتري ما يشرح صدرك ويشفي غليلك في هذا العلم

الشعبة الثانية من الشبهة

الإسناد والمستشرقون

النقد الخارجي للحديث

"سند الحديث"

الإسناد

النقد الخارجي للحديث

ولكن

** جاء متأخراً

و

تطور على حسب تطور المجتمع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة وتشتمل على :-

١) تعريف علم الحديث رواية، وتحديد موضوعه، والحكمة منه.

٢) تعريف على الحديث دراية، وتحديد موضوعه (السند والمتن) والحكمة منه

تعريف : السند، الإسناد، المتن، أحوال المتن

٣) الفرق بين علم الحديث رواية وبين علم الحديث دراية

الشعبة الثانية للشبهة

الإسناد والمستشرقون

أولا تحديد الشعبة

١) تحديد بداية الإسناد (الأمير كايتاني، هو روفتس، ربسون، شاخت والإسناد)

٢) أثر ابن سيرين في الإسناد "تحديد المراد من الفتنة وسنتها، المواجهة"

ثانياً : المواجهة "نقد الشعبة"

١) مقدمة تاريخية موجزة عن الإسناد

٢) بداية الإسناد في الحديث

٣) أدوات علوم الحديث "الدور الأول"

٤) تحديد مجال دراسة علوم الإسناد – مواد دراستة الأساسية

٥) شاخت ودوره في الكتب الفقهية

٦) ملخص طريقة استعمال الأسانيد لدي (القدماء) (أصحاب السير والفقهاء)

٧) البروفسور شاخت والقيمة العلمية للأسانيد

٨) مناقشة شاخت في أمثبته للظاهرة الإعتباطية في الأسانيد.

نتيجة ذلك كله:

المقدمة وتشتمل على :-

١) تعريف علم الحديث رواية، وتحديد موضوعه والحكمة منه

٢) تعريف علم الحديث دراية، تحديد موضوعه "السند، المتن" والحكمة منه

تعريف: السند، الإسناد، أحوال السند

: المتن، أحوال المتن

٣) الفرق بين علم الحديث رواية وبين علم الحديث دراية

وسنتناولها بإذن الله تعالي وتوفيقه فيما يأتي

تعريف علم الحديث

١) تعريف علم الحديث رواية:

هو علم يشتمل على أقوال النبي صلي الله عليه وسلّم وأفعاله وتقريراته وصفاته ورايتها وضبطها وتحرير ألفاظها.

وفي بعض التعاريف تزداد "أو الصحابي، أو التابعي"

موضوعه هو ما أضيف إلي النبي صلي الله عليه وسلّم أو الصحابي، أو التابعي، فأنه يبحث في هذا العلم عن روايتها وضبطها ودراسة أسانيدها ومعرفة كل حديث صحيح أو حسن أو ضعيف كما أنهم يبحثون في هذا العلم عن معني الحديث وما يستنبط منه من الفوائد.

الحكمة منه "غايته" يحقق بذلك غاية عظيمة جداً تقوم على "الصون من الخلل في نقل الأحاديث".

٢) **تعريف علم الحديث دراية :** ويطلق عليه (مصطلح الحديث، علوم الحديث، أصول الحديث، علم الحديث).

هو: علم بقوانين يُعرف بها أحوال السند والمتن.

* **تعريف السند :** هو حكاية رجال الحديث الذين رووه واحداً عن واحد إلى رسول الله صلي الله عليه وسلّم.

* **تعريف الإسناد :** هو إضافة الحديث إلى قائله أي نسبته إليه وقد يطلق أحدهما على الأخر كما أنهما قد يطلقان على رجال سند الحديث ويعوق المراد بالقرائن.

* **تعريف أحوال السند :** هي ما يطرأ عليه من اتصال أو انقطاع أو تدليس أو تساهل بعفن رجالة في السماع، أو سوء حفظ، أو اتهامه بالفسق أو الكذب أو تميز ذلك.

* **تعريف المتن :** هو ما يتنهي إليه السند من الكلام

* **أحوال المتن :** هي ما يطرأ عليه من رفع، أو وقف، أو شذوذ أو صحة أو ما يميز ذلك

موضوع هذا العلم : دراسة السند والمتن من حيث التوصل إلي معرفة المقبول من المردود

٣) الفرق بين علم الحديث رواية وعلم الحديث دراية :

علم الحديث رواية يبحث في هذا الحديث المعين الذي نريده، فيبين بتطبيق تلك القواعد أنه مقبول أو مردود، ويضبط روايته وشرحه، فهو أذن يبحث بحثاً جزئياً تطبيقاً.

علم الحديث دراية يوصل إلى معرفة المقبول من المردود بشكل عام، أي بوضع قواعد عامة فالفرق بينهما كالفرق بين النحو والإعراب وكالفرق بين أصول الفقه والفقة.

الشعبة الثانية من الشبهة

الإسناد والمستشرقون

"النقد الخارجي للحديث"

اهتم المسلمون بدراسة "سند الحديث" "الأسناد" "النقد الخارجي للحديث" ولكن

* جاء متأخراً

* تطور على حسب تطور المجتمع

أولا : تحديد الشعبة :

١) تحديد بداية الإسناد "الأمير كايتاني، هوروفتس، روبسون، شاخت والإسناد"

٢) أثر ابن سيرين في الإسناد "تحديد المراد من الفتنة وسنتها"

ثانيا : المواجهة – نقد هذه الشعبة :

١) مقدمة تاريخية موجزة عن الإسناد

٢) بداية الإسناد في الحديث

٣) أدوار علوم الحديث "الدور الأول"

٤) تحديد مجال دراسة علوم الإسناد – مواد دراسته الأساسية

٥) شاخت ودروه في الكتب الفقهية

٦) ملخص طريقة استعمال الأسانيد لدي (القدماء) (أصحاب السير والفقهاء)

٧) البروفسور شاخت والقيمة العلمية للأسانيد

٨) مناقشة شاخت في أمثلته للظاهرة الإعتباطية في الأسانيد

نتيجة ذلك كله

نقول وبالله التوفيق

أولا : تحديد الشعبة

١) تحديد بداية الإسناد :

لقد اختلف المستشرقين في زمن بداية الإسناد في الأحاديث النبوية :

* قال الأمير كايتاني : أقدم من قام بجمع الأحاديث – هو عروة (ت ٩٤) ولا يستعمل الأسانيد ولا يذكر المصدر لكلامه غير القرآن الكريم.

لذلك يعتقد كايتاني أنه في عهد عبدالملك (٧٠:٨٠ تقريبا) أي بعد وفاة النبي صلي الله عليه وسلّم بأكثر من ستين سنة ولم يكن معروفاً بعد استعمال الأسانيد في الأحاديث النبوية.

وعلى هذا – حسب رأيه – يمكن القول بأن استعمال الأسانيد بدأ بين عروة وابن إسحاق (١٥١ هـ) وعلى ذلك فالجزء الأعظم من الأسانيد الموجودة في كتب السنة لابد أن يكون قد اختلقها المحدثون في القرن الثاني، بل في القرن الثالث أيضاً.

* يشير إلى ذلك "شبرنجر" فيقول :

إن كتابات عروة إلى عبدالملك خالية من الأسانيد، ولذلك فما نُسب إلي عروة من استعماله للأسانيد لابد أن يكون متأخراً نسبياً.

أما الإقتباسات من كتابات عروة فهي ليست موجودة في التاريخ الطبري فقط، لكن كتباً عديدة من كتب السنة اشتملت على كتاباته وهي أقدم من الطبري وفي إحدي الإقتباسات من الطرق التي استعملها الطبري نجد عروة يذكر مصدره عائشة رضي الله عنها.

إن أكبر مشكلة تصادفنا في بحث مصادر عروة هي عدم وجود تأليفه بأيدينا بشكل مستقل، والمواد المتوفرة من كتاباته هي اقتباسات منها لا غير، وهذا الإقتباس كان تابعاً لهدف المقتبس ورغبته.

ومن الواضح تماماً أن الباحث في كل زمان يقتبس ما يحتاج إليه من كتابات من سبقوه، وربما أن عروة متقدم جداً وكان مصدره على الأغلب الصحابة المعاصرون للحوداث أو الصحابة الذين كان لهم شأن بالحوادث نفسها، لذلك كان الغالب أن يكون إسناده من شخص واحد، ولذا كان من السهل حذف ذلك الأسم في الإقتباسات لسبب أو أخر.

ومن ناحية ثانية لقد روي كتاب عروة عدة أشخاص منهم : الزهيري وعندما تراجع رواية الزهيري لكتاب عروة نجد عروة يذكر الإسناد أحيانا إسناداً منفرداً، وأحيانا إسناداً مزدوجاً.

وهذا يعارض ما ادعاه كايتاني وشبرنجر من أن عروة لم يستعمل الإسناد.

* من المستشرقين الذين درسوا مسألة بداية الإسناد هوروفتس ووصل إلى نتيجة محدداً فيها إن بداية الإسناد في الأحاديث تذهب إلى الثلث الثالث من القرن الأول الهجري.

* البروفسور "روبسون" درس فقه الإسناد بشئ من التوسع فنراه يقول "في منتصف القرن الأول الهجري يمكن للمرء أن يتوقع شيئاً – ما – يشبه الإسناد لموت عدد من الصحابة في ذلك الوقت، والذين لم يروا النبي صلي الله عليه وسلّم بدءوا يقصون عنه ومن الطبيعي أن يسألهم أحد السامعين عن مصادرهم أو معلوماتهم مالم تكن مباشرة حيث لم يروا النبي صلي الله عليه وسلّم".

أما وجود نظام دقيق للإسناد لابد أنه كان تدريجياً بحتاً . . . ثم يلخص فيقول :- إننا نعلم أن ابن أسحاق في النصف الأول من القرن الثاني "الهجري" أعطي أكثر معلوماته بدون إسناد، وأكثر ما بقي منه بدون إسناد كامل وأسلافه لابد كانوا أقل منه اهتماماً بالأسانيد منه.

لكنه لا يصح أن نقول : إن الإسناد راجع إلى عهد الزهيري ولم يكن معلوماته في عصر عروة، بينما نظام الأسانيد البالغ إلى كامل نشوتة أخذ وقتا طويلاً، ونما نمواً بطيئاً يمكن أن يقبل بعض الأسانيد راجع إلى القدم كما يدعيه الناس.

* البروفسور شاخت والإسناد

لقد درس البروفسور شاخت الأحاديث الفقهية وتطورها – على حد زعمه - وفي نظره : أن الإسناد جزء اعتباطي في الأحاديث، وأنها نمت وتطورت على يد الأحزاب المختلفة التي كانت تريد أن تنسب نظرياتها إلى أشخاص مرموقين من القدماء.

* يعلق روبسون – على نظرية شاخت بقوله :

إن النقد الموجه إلي الإسناد في الواقع نقد عميق، ولقد جاء بحجج قوية تبين أن استعمال الأسانيد شئ متأخر، لكن المرء يتردد أن يقبل كلامه بكامله، لقد بحث شاخت مجال الأحاديث الفقهية ويمكن أن يكون كلامه أدق في هذا الميدان من ميادين أخري من الأحاديث، لأن تغير الحالات والتطورات في الأفكار القانونية كانت ولابد أن تتطلب قواعد جديدة . . . إليست مناقشة جارفة ؟!!

يريد روبسون أن يقول : إن تغير الحالات والتطور في الأفكار القانونية كان يستدعي الوضع في الأحاديث باستمرار. . . وبالتالي الوضع في الإسناد أيضاً.

بينما الموضوعات الأخري في الحديث لم تكن شديدة التغير وبالتالي لم تكن في حاجة إلى وضع الأحاديث والإسناد كثيراً.

٢) أثر ابن سيرين (٣٣ – ١١٠ هـ) في الإسناد، وتحديد المراد من الفتنة وسنتها – ومواجهة ذلك كله .

يقول شاخت، قد نقل التابعي ابن سيرين بأن البحث في الإسناد والسؤال عنه بدأ بعد الفتنة التي بدأت بمقتل الوليد بن يزيد (١٢٦ هـ) على مقربة من نهاية الدولة الأموية، كان تاريخاً مصطلحاً عليه لإعتباره نهاية الأيام الجميلة، العصر الذي كانت سنة النبي صلي الله عليه وسلّم فيها غالية.

وبما أن تاريخ وفاة ابن سيرين هو "١١٠ هـ" لذلك لابد أن نعتبر أن نسبة هذا الكلام إلى ابن سيرين غير صحيحة والأثر موضوع.

وعلى كل فليس هناك ما يدعوا إلى أن نقبل أن بداية الإسناد تسبق في وجودها بداية القرن الثاني الهجري.

ومن الواضح الآن أن مناقشة – شاخت – مبنية على تفسيره لكلمة "فتنة" وهو تفسير تابع لهواه.

وفي الحقيقة أنه لم يُذكر في التاريخ الإسلامي أن عام – ١٢٦ هـ - تعتبر نقطة تحول ونهاية الأيام الجميلة . . وإذا كان هناك عصر يعتبره المسلمون بهذا الوصف فهو عصر الخلفاء الراشدين لا غير.

ومن الناحية الثانية كانت هناك "فتن" عديدة في تاريخ الإسلام قبل هذا التاريخ، مثلا فتنة – ابن الزبير – وقبل هذه الفتنة بين سيدنا على وسيدنا معاوية – الفتنة التي تعاني الأمة من أثارها حتي الآن.

ولذا نقول بأي مبرر يجب تفسير هذه الفتنة بفتنة مقتل الوليد بن يزيد وإذا كان للمرء أن يفسر الأحداث تبعاً لهوي في النفس ضارباً بكافة الحقائق التاريخية عرض الحائط فيمكن إذن أن نفسر الفتنة بفتنة هولاكو أو التتار.

وهكذا نري شاخت يأخذ الحادثة ويفسرها حسبما يشتهي لإثبات نظريات تحقق الغرض الذي يرمي إليه مع تجاهل تام لكافة الحقائق التاريخية، ومما لا شك فيه أن ما ذهب إليه من التفسير يخالف كل الحقائق التاريخية.

أما البروفسور "روبسون" فإنه يميل إلى تفسير كلمة "فتنة" الواردة في نص "ابن سيرين" بفتنة الزبير في ضوء تاريخ ولادة ابن سيرين ووجود كلمة "الفتنة" في موطأ الإمام مالك التي تشير إلى فتنة ابن الزبير.

لكن الواقع هو أن الفتنة المشار إليها في نص ابن سيرين هي :

فتنة سيدنا على وسيدنا معاوية رضي الله عن صحابة سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلّم وذلك للأسباب الأتية :

١) السبب الأول : لقد أشار البروفسور "روبسون" بأنه في منتصف القرن الأول عندما مات عدد كبير من الصحابة وكان الذين لم يروا النبي صلي الله عليه وسلّم بدءوا يتحدثون عنه في ذلك الوقت، ممن الممكن جداً أن يكون قد سألهم سائل عن مصادر الحديث إذا سلمنا بمكانة سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلّم في القرآن وعند المسلمون كما صورها لنا – روبسون- والتي هي بعيدة جداً عن الحقيقة، إذا سلمنا بها كان من الممكن أن يكون الأمر كما ذكره روبسون عن الإستفسار عن الأسانيد في منتصف القرن الأول "الهجري"، لكنه قبل الوصول إلى هذا التاريخ مرت الأمة الإسلامية بفتنة عارمة في العقد الأول من القرن الأول "الهجري".

* ويبدو أنه بدأ الوضع في الحديث أول ما بدأ في تلك الفترة في الميدان السياسي لتأييدجماعة أو للنيل من الجماعة المخالفة، لأنه بمراجعة كتاب الشوكاني في الموضوعات[١] اتضح الأتي :

١) ٤٢ حديثاً موضوعاً بخصوص النبي صلي الله عليه وسلّم

٢) ٣٨ حديثاً موضوعاً بخصوص الخلفاء الراشدين الثلاثة

٣) ٩٦ حديثاً موضوعا بخصوص سيدنا على – والسيدة فاطمة

٤) ١٤ حديثاً موضوعا بخصوص سيدنا معاوية.

لذلك يبدوا جلياً أن أكثر الوضع كان في الحقل السياسي، وربما بدأ الوضع لهذا الغرض أيام الحرب بين سيدنا على وسيدنا معاوية.

ومن ذلك الوقت أصبح لزاما على المحدثين أن يأخذوا احتياطاتهم في انتخاب مشايخهم.

[١] الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة – لشيخ الإسلام محمد بن على الشوكاني ص ٣٢٠:٤٨٠ – الكتب العلمية – بيروت – لبنان- بدون تاريخ، تحقيق عبدالرحمن بن يحيي المعلم – أشرف على تصحيحة عبدالوهاب عبداللطيف

٢) السبب الثاني لهذه الفكرة هو قول ابن سيرين نفسه وليس هناك أدني وجه معقول للشك في صحة نسبة القول إليه "إلى ابن سيرين" وكلمة ابن سيرين تشير إلى أنه يخبر عن عادة ظهرت قبل أيامه، لذلك يستعمل ضمير الغائب في النص كله، ولم يستعمل ضمير المتكلم علماً بأن هذا الأسلوب كان شائعاً جداً باللغة العربية ولا يزال شائعاً حتي الآن.

فعدوله عن استعمال ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب مع صيغة الماضي يشير في الواقع إلى أن هذه الإتجاه سابق له ومتقدم عليه.

ومن الناحية الثانية نراه يقول : ما كانوا يسألون ولم يقل لم يكن الإسناد موجوداً والذي يفهم منه ما كانوا يدققون فيستفسرون وكان الأمر متروكاً للراوي نفسه إذا أراد أن يبين شيخه أو – لا -.

إن في إنكار تقييد الحديث في عهد النبي صلي الله عليه وسلّم لا يمكن أن يتأتي ممن يتحاكم إلى الحس والإنصاف، ويسلك نهج العلم، لأن :

روايات كتابته قد تعددت بالأسانيد الموثوقة الكثيرة في مختلف مراجع السنة – مما يبلغ بها درجة التواتر الذي يقطع من يطلع عليه العلماء ويتحقق وقوع الكتابة للحديث في عهد النبي صلي الله عليه وسلّم.

* أما تقييد العلم في عصر سيدنا عمر بن عبدالعزيز – فليس يعني أبداً أنه لم يدون من قبل، غاية الأمر أن الخليفة العادل وجد كثيراً من العلماء يحجم عنه كما قال أنهم لم يكونوا يتداولون الكتب ليعتمدوا عليها فأصدر أمره بكتابة الحديث لينتقل بالعلم إلى التدوين العلم، الذي يعتمد على الحفظ وعلى الكتابة، ويجعل الكتابة مرجعاً متداولاً معتمداً لا يختص بصاحبه فقط.

وهذا ما ترمي إليه عبارة الحافظ بن حجر حين قال "إن آثار النبي صلي الله عليه وسلّم لم تكن في عصر أصحابه وكبار تابعيهم مدونة في الجوامع ولا مرتبة"[١].

[١] هدي الساري مقدمة شرح البخاري ج٤/١ – انظر منهج النقد ص ٥٠ بالتفصيل وكذلك ص ٤٦٣.

وهذا رد على الذين ينكرون تقييد الحديث في هذه الفترة حتي مطلع القرن الثاني الهجري إذ حتي مطلع القرن الثالث بنوا على هذا زعمهم أن الحديث كان في تلك الفترة مضيعاً ومختلفاً، لإنقطاع كتابته بزعمهم خلال هذه الفترة الطويلة.

ثانيا: المواجهة – نقد هذه الشعبة

١) مقدمة تاريخية موجزة عن الإسناد

إن الإسناد قد استعمل قبل الإسلام في نقل بعض الكتب، وبعض المعلومات بمنهج – ما – يشبه الإسناد إلى حد ما لكن دون إعطائه أية أهمية.

ويبدوا – أيضا – أن الإسناد قد استعمل إلى حد- ما – في نقل الشعر الجاهلي[١] لكن أهميته ظهرت في نقل الأحاديث النبوية فقط ووصلت إلى منتهاها حتي قال ابن المبارك الإسناد من الدين[٢].

وقد استفيد من هذا المنهاج في نقل الأحاديث النبوية استفادة تامة، وكان هذا الأمر طبيعياً جداً، لأن السنة النبوية هي المصدر الثاني الأصيل للشريعة الإسلامية، لذلك كان لابد من التشدد والإحتياط في نقلها وقبولها وقد كان.

إن إدخال الإسناد في نقل الأحاديث النبوية أنشأ علم جديد لا مثل له من قبل ولا من بعد ألا وهو : علم الجرح والتعديل وذلك لتقويم الرواه وبالتالي تقويم الأحاديث التي جاءت عن طريق هؤلاء الرواه.

٢) بداية الإسناد في الحديث :

لقد اعتاد الصحابة في حياة النبي صلي الله عليه وسلّم رواية الأحاديث النبوية وكان من عادتهم أن يبلغ الشاهد الغائب. وهؤلاء عندما كانوا يذكرون شيئاً سمعوه من النبي صلي الله عليه وسلّم أو رأوه يفعله صلي الله عليه وسلّم كانوا ينسبون القول أو الفعل إلى النبي صلي الله عليه

[١] انظر القضية برمتها بالتفاصيل في مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية أ/ ناصر الدين الأسد، ص ٢غائب٦٧:٢٥٢ ط٥، ١٩٧٨م – دار المعارف مصر

[٢] مقدمة صحيح مسلم بشرح النووي ج١/١٥.

وسلّم، وكان النبي صلي الله عليه وسلّم يسند القول – أحياناً – إلى سيدنا جبريل عليه السلام، وكان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يسندون القول إلى قائله سواء كان ذلك النبي صلي الله عليه وسلّم أم صحابياً أخر.

ومن الطبيعي إذا كان الراوي أحد هؤلاء الذين لم يشهدوا الواقعة بأنفسهم ولم يسمعوا الحديث من رسول الله صلي الله عليه وسلّم بذاته، بل سمعوه من غيره، ثم نقلوه إلي الأخرين، من الطبيعي أن يذكر الراوي في هذه الحال مصدر كلامه. وكل هذا في الواقع إسناد لا غير.

وهذا المنهج استعمله الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين – في حياة النبي صلي الله عليه وسلّم – **هو الذي أنتج الإسناد وأثمره، وكانت بدايته المتواضعة في حياة النبي صلي الله عليه وسلّم نفسه.**

لكنه ما قارب القرن الأول الهجري نهايته حتي بلغ علم الإسناد مبلغاً عظيما.

كان شعبة ينظر إلى فم قتادة (ت ١١٧ هـ) فإذا قال : (حدثنا) كتب وإذا قال (قال) لم يكتب[١].

٣) أدوار علوم الحديث

لقد مر علم الحديث بأدوار نوجزها فيما يأتي :-

١) الدور الأول دور النشوء وذلك في عصر الصحابة الممتد إلى نهاية القرن الأول الهجري

٢) الدور الثاني دور التكامل

٣) الدور الثالث دور التدوين لعلوم الحديث مفرقة

٤) الدور الرابع عصر التأليف الجامعة وانبثاق فن علوم الحديث مدونا

٥) الدور الخامس دور النضج والإكتمال في تدوين فن "علوم الحديث"

٦) الدور السادس عصر الركود والجمود

[١] الكفاية في علم الرواية ص ٤٣٢

٧) الدور السابع درو اليقظة والتنبيه في العصر الحديث

والذي يهمنا هنا هو الدور الأول- دور النشوء – عصر الصحابة لأن دراستنا متعلقة به وهو موضوعها لأنه هو الأساس لكل الذي بني عليه الإسناد فيه.

١) دور النشوء "عصر الصحابة الممتد إلى نهاية القرن الأول الهجري "

لما اختار رسول صلي الله عليه وسلم جوار ربه ولحق بالرفيق الأعلي قام الصحابة رضي الله عنهم من بعده تحمل مشعل الإسلام وسارت قوافلهم به تنقذ الإنسانية وتبلغ عنه صلي الله عليه وسلم ما علموه، وكان الصحابة على حفظ تام للقرآن الكريم، كما كانوا على إدارك ووعي للحديث النبوي، لما توفر لهم من الأسباب والدواعي لحفظ الحديث.

عوامل حفظ الصحابة للحديث :

١) صفاء أذهانهم وقوة قرائحهم

٢) قوة الدافع الديني

٣) مكانة الحديث النبوي في الإسلام

٤) طرق تعليمه صلي الله عليه وسلم الحديث للصحابة

٥) أسلوب الحديث النبوي، فقد أوتي صلي الله عليه وسلم قوة البيان وفصاحة اللسان.

٦) كتابة الحديث وهي من أهم حفظ المعلومات ونقلها للأجيال، وقد كانت أحد العوامل المهمة في حفظ الحديث

أخرج البخاري في (كتاب العلم، باب كتمان العلم ١٤٨:١)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال "ما من أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان عبدالله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب".

وفي سنة أبي دواد والمسند (أبو دواد في العلم ٣١٨/٣، المسند ٢٠٥:٢) عن عبدالله بن عمرو قال (كنت أكتب كل شئ أسمعه من رسول الله صلي الله عليه وسلم – أريد

حفظه فنهتني قريش وقالوا : أتكتب كل شئ ورسول الله صلي الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا. فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله صلي الله عليه وسلم فأومأ بيده إلى فيه فقال : أكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا الحق).

كذلك وردت أحاديث كثيرة عن عدد من الصحابة تبلغ بمجموعها رتبة التواتر في إثبات وقوع الكتابة للحديث النبوي في عهده صلي الله عليه وسلّم.

وقد ثبت أن كراهة الكتابة من الصدر الأول إنما هي لئلا يضاهي لكتاب الله تعالى غيره، أو يشتغل عن القرآن بسواه.

ومن أجل ذلك نجد أن الكتابة التي أذن بها رسول الله صلي الله عليه وسلّم – هي التي لا تتخذ طابع التدورين العام، أي لا تتخذ مرجعاً يتداول بين الصحابة ولذلك لم يأمر النبي صلي الله عليه وسلّم أحداً بكتابة (الحديث كما أمر بكتابة القرآن) ، و إنما أذن لأفذاذ من الصحابة بذلك، ولم يكن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يتداولون تلك الصحف من الحديث، ولم نجد في شيئ من الروايات أن أحداً فعل ذلك، وإنما كانت تلك الصحف بين أيديهم بمثابة المذكرات فلما انتشر علم القرآن الكريم وكثر حفاظه وقراءه أقبلت الأمة على تدوين الحديث تدويناً اتخذ صيغة العموم، وتداولت صحفة المكتوبة وذلك بأمر الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه.

وعلى ذلك فأننا نري أن تقييد الحديث مر بمرحليتن :

المرحلة الأولي : مرحلة جمع الحديث في صحف خاصة بمن يكتب دون أن تتداول بين الناس، وهذه بدأت منذ عهده صلي الله عليه وسلّم وبإذنه.

المرحلة الثانية : الكتابة التي تقصد مرجعاً يعتمد عليه ويتداولها الناس، وهذه بدأت من القرن الثاني الهجري.

وكانت في كل من هاتين المرحلتين مجرد جمع للأحاديث في الصحف غالباً لا يراعي فيها تبويب أو ترتيب معين، ثم جاء دور التصنيف الذي اتخذت فيه الكتابة طابع التبويب والترتيب من منتصف القرن الثاني، وبلغ أوج ذروته في القرن الثالث المعروف بعصر التدوين[١].

وقد تناولت الكتابة في عهده صلي الله عليه وسلّم قسماً كبيراً من الحديث يبلغ في مجموعه ما يضاهي مصنفاً كبيراً من المصنفات الحديثة ومما ورد في كتابة الحديث أمثلة كثيرة منها : الصحيفة الصادقة التي كتبها عبدالله بن عمرو بن العاص، قال : عبدالله بن عمرو حفظت عن النبي صلي الله عليه وسلّم ألف مثل وكان عبدالله يعتز بها ويقول "ما يرغبني في الحياه إلا الصادقة والوهط" وقد انتقلت هذه الصحيفة إلى حفيده عمرو بن شعيب[٢].

٤) تحديد مجال دراسة علوم الإسناد "مراد دراسة الأسانيد":

لقد كان لسوء اختيار المستشرقين من مواد دراسة الأسانيد أكبر الأثر في وقوعهم في أخطاء جسيمة نجمت من سوء ذلك الإختيار في انتقاء المواد لهذه الدراسة.

يقول البروفسور "روبسون" يذكرنا "هوروفست" بأن هناك ثلاثة مصادر لمعرفة أقوال النبي صلي الله عليه وسلّم وأفعاله.

أ- السيرة النبوية

ب- الحديث

ت- تفسير القرآن الكريم

والشيئ الجوهري في هذه المصادر الثلاثة هو وجود كلام مصحوب بسلسلة من الشهود. أما "لامانس" فقط أصر – محقا – بأن الحديث والسيرة ليسا مصدرين متميزين كما ذهب إليه "هوروفتس".

---

[١] منهج النقد في علوم الحديث أ/ نور الدين عنتر ص ٤٥ وما بعدها – دار الفكر – دمشق – سورية ط١(٣) ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م ونوصي بإقتناء الكتاب لأهميته، ولأنه فريد في بابه ومؤثر في مادته.

[٢] انظر المرجع السابق نفسه بقية الأمثلة وهي ستة أمثلة ص ٥١:٤٦ ، الوهط : أرض وقفها بوه عمرو في الطائف كان عبدالله يقوم برعايتها

ومن هنا يبدوا أن البروفسور "روبسون" يميل إلى الأخذ بنظرة "لامانس" بينما "هوروفتس" يريد أن يرسم خطاً فاصلا بين السيرة والحديث.

ومما لا شك فيه أن هناك اختلافاً في طبيعة كل من كتب السيرة والحديث، ففي تأليف كتب الحديث يمكن ذكر حديثيين في محل واحد لا صلة بينهما من ناحية الموضوع، فالحديث الأول – مثلا – يتعلق بالطهارة بينما الثاني يتعلق بالغزاوت، ولا يشعر الباحث بارتباك كما يشاهد ذلك في مسانيد الإمام أحمد بن حنبل – وغيره ، لكن السيرة تتطلب استمرار الحوادث والقصص، لذلك كان مؤلفوا السيرة مضطرين إلى جمع الروايات العديدة، ومزج بعضها ببعض لإخراج حادثة متكاملة. ولكن هؤلاء المؤلفين والمحدثين عندما رووا أحاديث أو ألفوا كتبا في موضوعات أخري في الحديث، غير السيرة لم يسلكوا ذلك المنهج، فقد تبين بذلك أن هناك فرقاً جوهرياً بين طبيعة المادتين عن كتب الحديث وكتب السيرة.

ولذلك فكتب السيرة – من الوجهة العلمية السليمة ليست مجالا طبيعياً وصائبا لدراسة ظاهرة الإسناد.

أكثر ما قام به المستشرقون من دراسة للأسانيد حتي الآن في كتب السيرة وبالتالي وصلوا إلى نتائج خاطئة لاختيارهم مواد غير مناسبة للبحث والتنقيب عما يريدون[1] من هنا جاء أيضاً.

٥) <u>شاخت ودوره ودراسته – للأسانيد في الكتب الفقهية :</u>

لقد قام البروفسور – شاخت- بدراسة كتاب الموطأ للإمام مالك، والموطأ للإمام محمد الشيباني، وكتاب الأم للإمام الشافعي.

وغني عن القول: أن هذه الكتب أقرب ما تكون إلى الفقه من كتب الحديث وعلى الرغم من ذلك، فقد عمم "نتيجته" التي وصل إليها في دراسته لتلك الكتب، وفرضها على كافة كتب الحديث، وكأنه ليست هناك كتب خاصة بالأحاديث النبوية، وكأنه ليس هناك فرق بين طبيعة كتب الفقه وكتب الحديث.

[1] دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه أ.د/ محمد مصطفي الأعظمي جـ٢ :١٩٨١ طـ٣. ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ المملكة العربية السعودية

ويبدوا أنه لم يتنبه إلى أسلوب الكتب الفقهية، لأنه :-

من المعلوم أن المفتي أو المحامي، أو القاضي عندما يحكم في قضية، أو يفتي في مسألة لا يكون مضطراً لأن يعطي للسائل كافة حيثيات الحكم أو الفتوي مع ذكر كافة الوثائق التي تعضده. وعندما يكتب العالم إلى العالم – في مسألة ما فقد يكتفي بمجرد إشارة إلى المصدر، إذا المخاطب يكفيه هذا القدر.

وكانت هذه الأساليب متبعة عند فقهاء القرون الأولي، ومع أن كافة الكتب الفقهية من القرن الأول، والنصف الأول من القرن الثاني قد فقدت من زمن، لكن من حسن الحظ أن بعض الكتب الفقهية من مؤلفات النصف الثاني من القرن الثاني قد وصلت إلينا.

وإذا نظرنا إلى هذه الكتب من حيث طريقة استعمالها واستفادتها من الأحاديث النبوية تتضح لنا الحقيقة المشار إليها من قبل بكل وضوح.

وسأضرب مثالاً يوضح طريقة استعمالهم للأحاديث النبوية وأسانيدها.

منهج اقتباس الفقهاء الأول من الأحاديث النبوية :

قال أبو يوسف "ثنا محمد بن اسحاق، سئل عبادة بن الصامت عن الأنفال فقال :- فينا أصحاب محمد أنزلت – يسألونك عن الأنفال – الآيات – انتزعه الله منا حين اختلفنا وساءت أخلاقنا فجعله الله إلى رسول الله صلي الله عليه وسلّم يجعله حيث شاء".

وقال ابن اسحاق "حدثني عبدالرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا عن سلمان ابن موسي عمر مكحول عن أبي أمامه الباهلي – واسمه صدي بن عجلان – فيما قال له ابن هشام – قال سألت عبداة بن الصامت عن الأنفال فقال : فينا أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من بين أيدينا فجعله إلى رسوله فقسمه رسول الله صلي الله عليه وسلّم بين المسلمين عن بواء – يقول على السواء"[1].

قال ابن إسحاق "فكان عبادة بن الصامت فيما بلغني إذا سئل عن الأنفال قال: فينا معشر أهل بدر نزلت حين اختلفنا في النفل يوم بدر، فانتزعه الله من أيدينا حين ساءت فيه أخلاقنا فرده

[1] سيرة ابن هشام جـ٦١٢/١

الله على رسوله صلي الله عليه وسلّم فقسمة بيننا عن بواء– يقول على السواء– وكان في ذلك تقوي الله وطاعته وطاعة رسوله صلي الله عليه وسلّم وصلاح ذات البين"[1].

يلاحظ هنا :-

أن أبا يوسف يعتمد في هذه الواية على ابن إسحاق لكنه يحذف الإسناد بكامله بينما ابن إسحاق يذكر إسناداً متصلاً، ثم إن ابن إسحاق نفسه يحذف الإسناد في محل أخر، ويكتفي بذكر الصحابي والمتن فقط.

من هذا المثال – أمثلة كثيرة أخري[2] تتضح لنا.

٦) ملخص طريقة استعمال الأسانيد لدي أصحاب السير والفقهاء – في ضوء هذه الدراسة :

نجد في كتابات الأقدمين وبخاصة في غير كتب الحديث الظواهر الآتية :

١) حذف جزء من الإسناد وقطعه، والإكتفاء بأقل قدر ممكن من المتن الذي يدل على المقصود وذلك تجنباً للتطويل.

٢) حذف الإسناد بكاملة والنقل مباشرة من المصدر الأصلي.

٣) طريقة أبي يوسف في استعمال الأسانيد توضح لنا أنه يستعمل أحياناً الإسناد كاملاً، ويقطعه أحياناً، ويضع كلمة مبهمة تشير إلى اسم معروف لديه كان قد ذكره قبل عدة صفحات فقط.

٤) استعماله كلمة "السنة" ومشتقاتها أو ما في مدلولها للدلالة على أفعال النبي صلى الله عليه وسلّم بدون ذكر حديث أو إسناد، لأن الحديث كان معروفاً ومشهوراً في الأوساط العلمية.

ما يستنتج مما سبق : يستنتج منه :

---

[1] المرجع السابق نفسه ط١/٦٦٧.

[2] انظر إليها بالتفصيل في الكتاب القيم المهم (دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه) أ.د / محمد مصطفي الأعظمي جـ٢ ٣٩٩ – ٤٠٤ باختصار.

لقد أثبتت الدراسة لهذه الأحاديث، وأسانيدها وطريقة استعمالها في كتابات الفقهاء الأقدمين بأن كتب السيرة وكتب الفقه ليستا مكاناً ومصدراً مناسباً لدراسة الأسانيد ونشأتها وتطورها.

الحديث النبوي موضوع قائم بذاته، بل يشتمل على عدد غير قليل من المعلومات الفرعية الأخري، ولذلك كان من الخطأ العلمي الجسيم أن تدرس الأحاديث النبوية في الكتب الفقهية.

لذا فأي دراسة أو نتيجة يصل إليها الباحث فيما يتعلق بالأحاديث النبوية أو الأسانيد في غير مصدرها الأصيل محكوم عليها بالإخفاق والعقم، لأنها لن توصل إلى النتيجة السليمة والمنطقية بل ستكون مخالفة للواقع.

وعلى هذا الأساس فإن :

ما قام به المستشرقون من دراسة كان مآلها الإخفاق وعدم الوصول إلى الحقيقة، لأنهم اعتمدوا على منهج غير سليم[1].

٧) البروفسور "شاخت" والقيمة العلمية للأسانيد :

إن البروفسور "شاخت" له آراء في "الأسانيد" وفي بدايتها، وقيمتها العلمية تخالف كل ما تعارف عليه الباحثون من المسلمين، لننظر ماذا يقول لنناقشه فيه :

قال شاخت "إن أكبر جزء من أسانيد الأحاديث اعتباطي.....

ومعلوم لدي الجميع أن الأسانيد بدأت شكل بدائي، ووصلت إى كمالها في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري. . . . وكانت الأسانيد كثيراً ما تلصق بأدني اعتناء. . . .وأي حزب يريد نسبة آرائه إلى المتقدمين كان يختار تلك الشخصيات ويضعها في إسناد وفي الأمثلة التالية نجد مظاهر الإعتباط في الأسانيد وانعدام الثقة فيها".

إن الأمر الذى لا شك فيه أن الإسناد بدأ من عهد النبي صلي الله عليه وسلّم لكن منهج المحدثين في استعمال الأسانيد كان يختلف من شخص إلى آخر، وبخاصة في عهد الصحابة.

ويمكننا أن نقول : إن الإيمان بأهمية الإسناد وصل إلى ذروته في القرن الأول.

---

[1] انظر دراسات في الحديث النبوي جـ٢/٤٠٥

وبعد :-

فمن ألوف الأحاديث التي رواها الإمام مالك والآخرون من المحدثين ينتقي "شاخت" بعض الأحاديث التي حكم عليها المحدثون بالخطأ والوهن، ثم يقوم بدراسة تلك اللحظات المتكلم فيها ثم ينشئ النظرية في ضوء دراساته للأحاديث المعلولة.

لكنه يطبق تلك النظريات على الأحاديث الصحيحة هذا هو منهجه وهذه هي الظاهرة العامة في بحوثه. وحتي في هذه الحالة تري الشواهد التي يستند إليها في إصدار حكمه تعارض حكمه بل تزيفه وتخطئه وتنقصه.

ننظر على سبيل المثال في بعض أمثلته :-

يقول "شاخت" كانت الأسانيد كثيراً ما تلصق بصفة اعتباطية – ثم يقول : ومن الأمثلة التي تدل على ذلك :- الحديث الوحيد الذي كان يرفعه مالك عن النبي صلي الله عليه وسلّم في المسح على الخفين هو بإسناد ذي أخطاء حتي إن الزرقاني يتهم مالكاً – بارتكابه خطأين، ويتهم يحيي بن يحيي بخطأ أخر. لكن هذا هو الشكل الأصيل الصحيح للأسناد. أما التطور الذي حصل وبغير الجزء العلوي من الإسناد حتي إنه لا يمكن التصرف عليه، فقد حدث مؤخراً.

والمستغرب في بحث "شاخت" أنه لا ينقل كلام الزرقاني كاملاً لأن الإمام الشافعي وهو من تلاميذ مالك بين وهم مالك في إسناد هذا الحديث كما وضحه الزرقاني نفسه، أضف إلى ذلك أن الباحثين بعدما قارنوا رواية مالك مع رواية زملائه وكانوا سبعة أشخاص أخرين، وجدا سبعة من الثمانية يتفقون تماماً في رواية الحديث ويخالفون الإمام مالك، لذلك كان من السهولة بمكان الكشف عن خطأ الإمام مالك، وإن كان من عادتهم الشائعة ربط الأسانيد بالأحاديث المختلفة لما كان معرفة ذلك الخطأ وإزالته ممكن.

وهذا يثبت عدم وجود أسانيد وهمية وخيالية، وإن كان هناك شئ ما – فيها – فكان من المستحيل – تقريبا – أن تمر تلك الأحاديث دون أن يتنبه الباحثون إلى ما فيها من خطأ في أسانيدها.

علاوة على ذلك لا يمكن لأحد أن ينكر أن الخطأ من فطرة البشر، وكافة الباحثين مهما علت درجاتهم يقعون في الأخطاء في حين أو أخر ولكنه لا يمكن لباحث ما – أن يعتقد أن تلك الموضوعات التي أخطأ فيها بعض العلماء هي المادة الوحيدة الصالحة لدراسة الحالات السوية واستخراج النتائج كما فعل ويفعل "شاخت".

٨) مناقشة شاخت في أمثلته للظاهرة الإعتباطية في الإسناد :

يشير شاخت إلى رواية الموطأ وهي بإسناد منقطع عن مالك بن هشام عن عمرو عن أبيه أن عمر بن الخطاب قرأ سجده وهو على المنبر فسجد وسجد الناس معه ثم قرأها يوم الجمعة الأخري فتهيأ الناس للسجود فقال على رسلكم إن الله لم يكتبها علينا إلا أن نشاء فلم يسجد ومنعهم أن يسجدوا.

يقول "شاخت" : لكن البخاري عنده سند أخر متصل غير منقطع لكن هناك نسخة قديمة للموطأ فيها "وسجدنا معه" وهذا لم يقله عروة، بل نسب إليه، وهو في واقع الأمر – النص الأصلي للموطأ – وهذا مما يدل على أن صناعة النص جاء في الوجود مقدماً ثم وضع مع النص الإسناد وضعاً إعتباطياً، ثم تطور الإسناد وأدخلت التحسينات عليه، ونسب الحديث إلى زمن المتكلم.

وعلى كل لم نجد مستند لإدعاء شاخت بأن ما ذكر في النسخ القديمة من الموطأ هو النص الأصلي القديم، إذ لا نعتقد أنه اكتشف كتاب الموطأ بخط الإمام نفسه، ثم من كبار شراح الموطأ ابن عبدالبر "سنة ٤٦٢ هـ" - لم ير شيئاً – ما – أو على الإطلاق لم يشر إلى هذا النوع من الإختلاف في نسخ الموطأ، يقول الزرقاني : ويقع في نسخ – لكنه لا يشير إلى النسخ القديمة التي ذكرها شاخت وفي الواقع كل من له إلمام باللغة العربية والرسم العربي للخط القديم يعرف ببساطة أن هذا الخطأ مرجعه سهو كاتب أسقط حرف السين من "وسجد الناس معه" ثم تحولت الكلمة بعد ذلك إلى سجدنا معه أضف إلى ذلك أنه كان النص الأصلي القديم "وسجدنا معه" كما يدعي شاخت كان عروة إذن قد غير بقية الصيغ في الجملة القادمة ويقول :فتهيأنا للسجود فلم نسجد ومنعنا أن نسجد.

وبعد :-

فإذا كان الأمر كذلك كما يزعمه "شاخت" - هو وضع الحديث، ثم وضع الإسناد، فمن هو الذي ساهم فيه – إن كان قوله صحيحاً – هل هو مالك أو هشام من عروة وهم الأذكياء عند الجميع، وليس من المعقول أن يقدموا على مثل هذا الخطأ الناشئ في تركيب إسناد حديث.

لذلك فإلقاء الشك على إسناد البخاري بوجود خطأ في بعض نسخ الموطأ، الذي ربما قد ارتكبه ناسخ ما – بعد البخاري بفترة، هو كلام غير علمي وبعيد عن الصواب وغير جدير بالإلتفات.

نتيجة ذلك كله :

اعتقد أنها واضحة وظاهرة.

أنه لا يجوز الإعتماد على الكتب الفقهية الحديثة لبحث مسائل الحديث النبوي وهذا ما وقع فيه شاخت وغيره من المستشرقين.

وبعد :

فاعتقد أنه بمواجهة الشعبة من الشبهة وهي شبهة الوضع في الحديث ومواجهتنا لها قد انهارت تقريباً الشعبة الثانية من الشبهة بثبوت الإسناد ووجوده من اللحظة الأولي وانهارت أيضاً الشعبة الثالثة من الشبهة هو شبهة "عدم الإهتمام بالنقد الداخلي للحديث، وهو المتن" لأنه قد ثبت لدينا عند تناولنا للشعبة الأولي بأن السند "النقد الخارجي للحديث، والمتن – النقد الداخلي للحديث" قد أثبتنا وجودهما من اللحظة الأولي لحياة الرسول صلي الله عليه وسلّم[1].

ومخافة الإطالة لذكرت بالتفصيل النقد الداخلي للحديث "وهو المتن" ولكن إن شاء الله – سنشرحها في مؤلف مستقل – بإذن الله.

---

[1] انظر بالتفصيل المراجع الآتية :
١. دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه أ.د / محمد مصطفي الأعظمي جـ٢ ٣٩١:٤٣٧.
٢. مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والأسلامية جـ١ / ٦١:١١
٣. الظاهرة الإستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية أ.د / سامي سليم جـ٢ / ٥٠٤:٥٠٧، جـ٢ ٥٨٩:٥٩٨
٤. السنة قبل التدوين أ.د / محمد عجاج الخطيب ٢٤٩:٣٧٥
٥. السنة ومعاملتها في التشريع الإسلامي المرحوم أ.د / مصطفي السباعي ١٩٠:٢٧٠
٦. منهجه جمع السنة وجمع الأناجيل – دراسة مقارنى. كتاب للعملية – د / عزبة على طه ١٤١٧هـ - ١٩٦٠ م

نظرة تقويمية للمستشرقين

ما عليهم، وما لهم

خطر المستشرقين

على

الفكر الإسلامي

ويشتمل على :

١. **ما بيناه سابقا في مواجهة موقفهم ودحض شبههم**

في : القرآن الكريم

والسنة النبوية

٢. **ما سنتناولة الآن :**

١. منهج الأثر والتأثر

٢. المنهج العلماني

٣. المنهج المادي

٤. المنهج الإسقاطي

٥. منهج النفي والإفتراض واعتماد الضعيف الشاذ

٦. منهج البناء والهدم

٣. **المآخذ المنهجية على مناهج المستشرقين :**

١. بيان الخلل في مناهجهم العلمية

٢. خيانتهم للمنهاج العلمي

١) من حيث الشكل

٢) من حيث استكمال الشروط

بيان ما لهم – من وجهة نظرهم، ومن وجهة نظر من يسير في ركابهم والرأي في هذا الموضوع :

نتيجة ذلك كله:

أولا : بيان ما عليهم، من مآخذ:

١) مناهج المستشرقين في تناولهم للإسلام

اتبع المستشرقون مناهج عدة في تناولهم للإسلام بجمبع روافده وادعاء السنة فيه فمنها :-

١. منهج العكس : حيث يأتي المستشرق بأوثق الأخبار وأصدق الأنباء، فيقلبها متعمداً إلى عكسها[١].

٢. منهج الأثر والتأثر : الذي اتبعه غالبية المستشرقين، حيث يتم إفراغ الإسلام من ذاتيته وذلك بإحالتها إلى مصادر خارجية من نصرانية ويهودية ومجوسية وبابلية وغير ذلك ...

٣. المنهج العلماني : الذي يستبعد وقوع ظواهر دينية لا تخضع لقوانين الأجسام المادية المعروفة[٢].

٤. المنهج المادي : الذي يجعل العامل الإقتصادي المرجع الأول والأخير في تفسير الواقعة التاريخية "الدينية".

٥. المنهج الإسقاطي : وهو إسقاط الواقع المعاصر والمعاش على الوقائع الدينية فيفسرونها في ضور خبراتهم ومشاعرهم الخاصة وما يعرفونه من وقائع حياتهم ومجتماعاتهم[٣].

٦. منهج النقر والتشكيك والإستعانة بالشاذ والضعيف: لقد أخذ المستشرقون بالخبر الضعيف الشاذ في بعض الأحيان، وحكموا بموجبه واستعانوا بالشاذ الغريب ولو كان متأخراً! لأن الشاذ والغريب هو الأداه الوحيدة في إثارة الشك.

٧. منهج البناء والهدم: حيث الإطراء والمديح ثم الهدم

---

[١] أروبا والإسلام للمرحوم الراحل الشيخ عبدالحليم محمود /٩٦

[٢] مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية جـ١/٢٣٦

[٣] الإستشراق في السيرة النبوية أ.د / عبدالله محمد الأمين النعيم صـ ٣٤ وما بعدها.

٢) المآخذ المنهاجية على مناهج المستشرقين :

بيان الخلل في مناهجهم العلمية.

يعتري الخلل المنهاج الإستشراقي في معالجته للإسلام، ذلك المنهاج الذي استمد مقوماته من المناهج الغربية المرتكزة على أسس مغايرة لروح الإسلام.

إن معالجة وقائع الإسلام تمتد جذورها إلى عالم الغيب، وترتبط أسبابها بالسماء، والوحي يكون همزة وصل مباشرة بين الله سبحانه وتعالي وبين رسوله الكريم صلي الله عليه وسلّم لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يعامل الإسلام كما تعامل الجزئيات والذرات في مختبر الكيمياء. . . ومن هنا :-

فأي محاولة لإخضاع الإسلام لمقومات العقل الصرف، ومعطيات المنطق المتوارثة، لا يمكن أن يقود إلا لنتائج خاطئة . . .

إن الدين والغيب والروح لهو عصب الإسلام وسداه ولحمه، وليس بمقدور الحس أو العقل أن يدلي فيه بكلمة إلا بمقدار.

أنهم يريدون إخضاع الإسلام لمناهج البحث الغربية المادية وغيرها . . . ليتسني لهم التشكيك في الإسلام ذاته، ولقد ظل الشك الديكارتي قاعدة صلبة للمستشرقين في تناولهم للإسلام.

ومن هنا يتضح لنا :-

الخلل المنهجي في مناهجهم العلمية ويتلخص في الآتي :

١) وضع النصوص في غير موضعها، وتحميلها مالا تطيقه ألفاظها ولا تدل عليه معانيها.

٢) تحريف النصوص الإسلامية كما فعل "جولد تسهير" في زعمه أن أحاديث قراءة القرآن على سبعة أحرف هي من قرارات عمر بن الخطاب.

٣) يعتمدون أقوالاً باطلة ردها علماء الإسلام بدلائل علمية حاسمة، وتجاهلم تلك الدلائل بل ينسبون أحيانا تلك الأقوال الباطلة إلى العلماء الذين ردوها ونقدوها على أنها المعتمدة.

٤) اقتطاع فقرة من نص علمي للإستدلال به على غرض خبيث، ينقضه النص لو تم إيراده كاملا.

٥) إغفال الحقائق التي تخالف استنتاجاتهم وتدحضها، على الرغم من اطلاعهم الأكيد عليها، بدلالة قرائن كثيرة في نفي البحث الذي يقدمون فيه تلك الإستنتاجات.

٦) تعمد إساءة فهم النصوص وتوجيهها إلى غير دلالاتها والمغالطة فيها وفي المناقشات العلمية.

٧) تابع المستشرقون الجاهليين في بعض آرائهم عن الوحي والقرآن والمعجزات كما تابعوا كفره الباطنية وزنادقة المجوس واليهود والنصاري في تقولات عن القرآن الكريم. . .

٨) تحريف دلالات الوقائع التاريخية والإنحراف في تعليلها، ويتم لهم ذلك أحياناً بتحكيم مفاهيم البيئة الغربية - على الرغم من فسادها – في تفسير النصوص والوقائع التاريخية ومن ذلك تعليل روائع الفتح الإسلامي المجيد ومزياه ببواعث ورغبات "خيالية" مماثلة للحملات الإستعمارية الغربية.

٩) إيراد مقدمات جزئية ضعيفة ثم بناء نتائج ضخمة فضفاضة لا تتناسب مع تلك المقدمات ولا تنتج عنها.

ويدخل في هذا إطلاقهم الأحكام العامة بسبب بعض الحوادث الفردية في المجتمع الإسلامي، وأيضا – محاولتهم إبتناء نتائج حتمية على مقدمات محتملة توهماً ولا دليل عليها أصلا.

١٠) أنهم يعتمدون في مؤلفاتهم على مصادر ليست في مستوي البحث العلمي، أنما هي كتب تندر، وتفكه أو تذوق أدبي، مثل كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني، أو كتاب الحيوان للدميري. . . إلخ

وربما يكون مؤلف بعض هذه الكتب مبتدعاً تحمله بدعته على الطعن في أئمة الإسلام، فيفترض المستشرقون كلامه ويتخذونه عمدة في أبحاثهم وحجة – دون دليل – على أن آراءهم مصيبة في البحث العلمي[1].

١١) سوء الظن برجال المسلمين وعلمائهم وعظمائهم.

١٢) سوء الظن والفهم لكل ما يتصل بالإسلام في أهدافه ومقاصده.

١٣) تصوير المجتمع الإسلامي في مختلف العصور، وبخاصة العصر الأول بمجتمع مفكك تقتل الأنانية رجاله وعظماءه.

١٤) تصوير الحضارة الإسلامية تصوير دون الواقع بكثير تهويناً لشأنها واحتقاراً لآثارها.

١٥) إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم، والحكم فيما يرفضونه ويقبلونه من النصوص.

١٦) الجهل بطبيعة المجتمع الإسلامي وحقيقته، والحكم عليه من خلال ما يعرفه هؤلاء المستشرقون من أخلاق شعوبهم وبلادهم[2].

من هذا المنطلق يتضح لنا خيانتهم للمنهج العلمي :

وهذا ما سنجده في النقطة الآتية :

١. خيانتهم للمنهج العلمي :

---

[1] وحي الله – حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة – نقض مزاعم المستشرقين أ.د / حسن صفاء الدين ص ٣٢

[2] السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المرحوم أ.د / مصطفي السباعي / ١٨٨
انظر كذلك بالتفصيل "منهج النقد في علوم الحديث أ.د / نور الدين عنتر ص ٤٨٠ وما بعدها"
انظر كذلك الإستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، المرحوم أ.د / مصطفي السباعي
انظر التآمر على التاريخ الإسلامي، د/ أبو الوفا أحمد عبدالآخر

أولا : خيانتهم للمنهج العلمي من حيث الشكل :

١) الإهتمام بتاريخ الفرق والصراع بينها، وعوامل نشأتها، ومحاولة إثارة أخبارها ووضعها في بؤرة الشعور لدي الأمة الإسلامية.

٢) العناية بتاريخ الزندقة والزنادقة، وإبرازهم في صورة أصحاب الفكر الحر، وقادة الفكر.

٣) الإهتمام بعصور ما قبل الإسلام لإحياء الفرعونية، والبابلية إثارة للنعرات الإقليمية وتمزيقاً لجسد الأمة الإسلامية.

٤) تمزيق تاريخ الأمة الإسلامية – طولا – وعرضا – بتقسيمه طولاً إلى تاريخ أسر: كالأموية، العباسية، المماليك، والعثمانية.

عرضاً بتقسيمه إلى تواريخ أقاليم ومناطق بمدها في العمق الإسلامي قبل الإسلام.

ثانياً : من حيث استكمال شروطه، والإلتزام بقواعده (خيانة المنهج من حيث شروطه وقواعده) :

ملحوظة هامة : كل ما قيل في خيانة المنهج من حيث الشكل، ويقال هنا من حيث استكمال الشروط ينطبق على جميع مناهج المستشرقين في الدراسات الإستشراقية بصفة عامة، وفي الدراسات الأدبية والدراسات الإسلامية بجميع روافدها قرآنية وحديثية وتاريخية . . . . وإن شئت فقل : كل ما تخطه أقلام المستشرقين مما يتصل بالإسلام والعربية.

وتتمثل خيانتهم للمنهاج من حيث الشروط والإلتزام بقواعده في الآتي :

١) **المنهج المعكوس "القلوب":**

من أهم شروط المنهج : التجرد من الأهواء، وعدم الوقوع تحت سلطانها، فلا يميل الهوي بالباحث لإثبات ما يوافق هواه، ونفي ما عداه.

* فما بالنا بالذي يحدد الغرض أولاً، والنتيجة "مسبقاً"، ثم يبدأ في البحث عما يؤيدها والتنقيب عما يثبتها، فهذا ليس علماً، وليس بحثاً مهما كان صورته، ومهما كا مشكله.

وهذا ما يلتزم به المستشرقون ويطبقونه في مناهجهم في الدراسات الإسلامية، فهم يحددون لهم غاية، ويقررون في أنفسهم تحقيق تلك الغاية بكل طريق وسبيل، ثم يقومون بجمع معلومات لها من كل رطب ويابس – ليس لها علاقة بالموضوع، سواء من كتب الأديان، أو التاريخ، أو الأدب والشعر أو الرواية، والقصص والمجون والفكاهة، حتي وإن كانت هذه المواد تافهة لا قيمة بعد التمويه بكل جراءة ويبنون عليها نظريات، لا يكون لها وجود إلا في أنفسهم وأذهانهم.

فالمستشرق يبدأ بحثه وأمامه غاية حددها، ونتيجة وصل إليها مقدماً، ثم يحاول أن يثبتها بعد ذلك، ومن هنا يكون دأبه، واستقصاؤه الذي يأخذ بأبصار بعض الباحثين، وهو في الحقيقة يتعب، ويشقى، ويكد لينحي ما يهدم فكرته ويكذب ويدحض رأيه، ويخفي ويطمس ويمحو ويتجاهل كل ما يسوقه إلى نتيجة غير التي حددها سلفاَ.

ومن هنا تأتي أبحاثهم عليها مسحة الغناء والإستقصاء، ولكنه عناء الإلتواء، واستقصاء من يجمع من لا شيئ شيئاً ويصنع من الهباء بناء ويبني من الغبار صرحا.

يقول المرحوم الشيخ محمود شاكر، عن هذا الخطر والخلل المنهجي "وأما الأهواء فهي الداء والشر المستطير، والفساد الأكبر، إن هو ألم بأي عمل إلمامه خفيفة الدبيب، يله الوطء المتثاقل، أحاله إلى عمل مستقذر منبوذ كريه، حتي ولو جاءك هذا العمل في أحسن ثيابه، وحليه، وعطوره، وأتمها زينة من دقة استيعاب و تمحيص، ومهارة، وخدمة وذكاء".

هذا الشر المستطير والخطر الوبيل، حذر منه علماؤنا الأقدمون منذ أكثر من ألف عام، حين قننوا قواعد المنهج، وحددوا أركانه ووضحوا شروطه وخصوا هذه القواعد بكتب دونوها ورسائل خاصة بها سطروها.

فمن قبل ألف عام قرأت الدنيا للإمام الحسن الهيثم ت ٤٣٠ هـ - ١٠٣٨ م.

ما وضعه من قواعد للمنهج قوله في كتابه "المناظر".

ونجعل غرضنا في جميع ما نستقرئه ونتصفحه استعمال العدل، لا اتباع الهوي،ونتحري في سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق، لا الميل مع الأراء، فلعلنا ننتهي بهذا الطريق إلى الحق الذي يثلج الصدر[1]، ونصل بالتدريج والتلطف إلى الغاية التي عندها يقع اليقين، ونظفر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التي يزول معها الخلاف، وينحسم بها مواد الشبهات.

هكذا استعمال العدل والبعد عن الهوي، وطلب الحق، وعدم الميل مع الأراء، شروط للوصول إلى اليقين والحقيقة.

فهل كان المستشرقون يبغون اليقين ويريدون الحقيقة؟

٢) <u>عجز المستشرقون عن تمثل الثقافة واللغة :</u>

إذا كان من شروط المنهج الجوهرية : البراءة من الأهواء، فإن من شروطه الأساسية :

* إدارك اللغة والإحاطة بأسرارها : - أسرار اللغة التي يبحث الباحث في أدابها وعلومها وفنونها.

* إدراك الثقافة والإحاطة بسرها، ثقافة الأمة التي يريد أن يبحث في تاريخها، وعقائدها، وعمرانها، وحضارتها، ودينها.

وذلك – ضروري ولازم – للمستشرق وغير المستشرق (هذه الشروط لا يختلف في شأنها أحد قط في كل ثقافة، وكل أمة، فإذا كان لا يعد كاتباً أو باحثاً أو عالماً من أبناء

---

[1] ثلج الصدر – يتردد هذا في مؤلفات أئمتنا في القرون الأولي ويعنون به "اليقين" وكثيراً ما يضيفون إليها لفظاً أخر أوضح دلالة على المعني المراد فيقولون "ثلج الصدر وبرد اليقين".
انظر بتفصل "المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي" أ.د/ عبدالعظيم الديب ص ١٢٤:٧١ بتصرف شديد "سلسلة كتاب الأمة" رقم ٢٧ ط(١) رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية – قطر.
وقد اعتمدنا على الله وحده ثم . . . على هذا الكتاب في تلخيص واستنتاج بتقديم وتأخير وتلخيص خيانة المنهج وهذا للعلم واحتراماً للأمانة العلمية.

اللغة ذاتها، وأبناء الثقافة أنفسه، إلا من اجتمعت له هذه الشروط، فإذا تعدي منها لم يكن أهلا للنزول في الميدان "المنهج" فإذا فعل فهو متكلم لا أكثر ثم لا يلتفت إلى قوله، ولا يعتد به عند أهل البحث والعلم والكتابة).

والمستشرق فتي أعجمي ناشئ في لسان أمته وتعاليم بلاده، ومغروس في أدابها وثقافتها . . . ثم يغدوا طرفاً في علوم العربية و أدابها، يأخذها من أعجمي مثله، ثم يخرج على الناس بعد ذلك مستشرقاً يفتي في اللسان العربي وغيره.

غاية ما يمكن أن يحوزه "مستشرق" في عشرين أو ثلاثين سنة. . .

أن يكون عارفا – معرفة – ما – بهذه اللغة وأحسن أحواله عندئذ أن يكون بمنزلة طالب عربي، في الرابعة عشرة من عمره، بل هو أقل منه على الأرجح أي من طبقة العوام الذين لا يعتد بقولهم في ميدان "المنهج".

على أن اللغة نفسها هي وعاء "الثقافة" فهما متداخلتان، فمحال أن يكون محيطاً بثقافتها إحاطة تؤهله للتمكن من "اللغة" فمن أين يكون المستشرق مؤهلاً لنزول هذا الميدان؟؟

وإذا كان أمر اللغة شديداً لا يسمح بدخول المستشرق تحت هذا الشرط اللازم للقلة التى تنزل ميدان "المنهج" وما قبل المنهج.

فإن شروط الثقافة أشد وأعتي، لأن الثقافة سر من الأسرار الملثمة في كل أمة من الأمم، وفي كل جيل من البشر، وهي في أصلها الراسخ البعيد الغور، معارف كثيرة لا تحصي متنوعة أبلغ التنوع، لا يكاد يحاط بها، مطلوبة في كل مجتمع إنساني للإيمان بها أو لا عن طريق العقل والقلب ثم للعمل بها، حتي تذوب في بينان الإنسان وتجري منه مجري الدم، ولا يكاد يحس به، ثم للإنتماء إليها بعقله وقلبه، إنتماء يحفظه ويحفظها من التفكك والإنهيار.

وهذه القيود الثلاثة "الأيمان" و "العمل" و "الإنتماء" هي أعندة "الثقافة" وأركانها التي لا يكون لها وجود ظاهر محقق إلا بها، وإلا انتقض بينان "الثقافة" وصارت مجرد

معلومات ومعارف وأقوال مطروحة في الطريق متفككة لا يجمع بينها جامع، ولا يقوم لها تماسك، ولا ترابط ولا تشابك.

وبديهي، بل هو فوق البديهي، أن شرط "الثقافة" ببنوده الثلاثة ممتنع على "المستشرقين" كل الإمتناع، بل هو أدخل في باب الإستحالة من اجتماع الماء والنار في إناء واحد وذلك لأن :-

"الثقافة" و "اللغة" متداخلة تداخلاً لا انفكاك له، ويترافدان ويتلاقحان بأسلوب خفي غامض كثير المداخل والمخارج والمسارب ويمتزجا امتزاجاً واحداً غير قابل للفصل، في كل جيل من البشر، وفي كل أمة من الأمم.

فأني للمستشرق أن يحوز ما لا يحوزه إلا من ولد في بحبوة اللغة وثقافتها منذ كان في المهد صبيا.

وهذا كلام واضح تمام الوضوح، لا نحتاج معه إلى دليل، ومع ذلك إليك مثالاً من كلام أحد المستشرقين ما يئكد ذلك :

كتب المستشرق الروسي "كراتشوفسكي" إلى شقيقته يقول لها "إن اللغة العربية تزداد صعوبة، كلما ازداد المء دراسة لها".

ومثالاً أخر يدلل عن عجز المستشرقين عن اكتشاف سر اللغة وإدراك كنه الثقافة لما وقعوا فيه من أوهام غليظة نتيجة هذا العجز المهين فمنها :-

* شرح "كارتر مير" "الأحداث" بالفوتماء وتفسير "كازانوفا" لفظ "أمتي" بشعبي.

* ومثل ما وقع فيه المستشرق الألمانى "براجستراسر" في تحقيق كتاب مختصر في شواذ القراءات لإبن خالوية، حيث صحف كلمة أبي عمرو ابن العلا "فقد تربع في لحنه" وجعلها "فقد تربع في الجنة" مع إن المقام مقام ذم.

وإن كانت هذه الأخطاء لا يترتب عليها كبير خلل في المعني، أو قضايا علمية، فهناك ما يترتب على فساد في المعني، وأحكام شرعية فمن ذلك ما قاله "م.دات" من تفسير

"الغض" من البصر بأنه التواضع " وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا . . ." النور آية ٣١.

هكذا يرى أن هذه الآية تدعو إلى التواضع، ولسنا ندري من أين جاء بهذا المعني؟، مع أن السياق يشير إلى أن الأمر بغض النظر هنا هو عدم النظر إلى ما لا يحل نظره من الأجنبية ولا علاقة لهذا بالتواضع.

٣) التعسف في التفسير والإستنتاج :

ونعني به تفسير المستشرق للفظ بما يتفق وهدفه ويشبع هواه إذا تركنا شروط المناهج وما ذكرناه سابقاً من أن المستشرقين محرومون منها وجدنا لوناً آخر من خيانة المنهج، أعني ما ذكرناه آنفاً من البراءة من الهوي وسنعرض طرفاً آخر من أفانين خيانة المنهج.

وهو التعسف في التفسير والإستنتاج، فهنا لا يكون اللفظ العربي مستعصياً مستغلقاً على المستشرق، ويمكنه لو أراد – أن يفهمه فهماً صحيحاً، ولكنه يميل إلى هواه فيفسر اللفظ بما يتفق ويشبع هواه.

والأمثلة على ذلك كثيرة، يذكر منها مثالاً للمستشرق (المنصف المعتدل) (م-وات) وذلك حين يفسر أمر القرآن الكريم للمؤمنين بالإستئذان قبل الدخول لبيوت غير بيوتهم، وأمر المؤمنين والمؤمنات بغض البصر "سورة النور آيات ٢٧، ٣٠، ٣١".

يفسر ذلك بإنحطاط في مستوي الأخلاق كان النبي صلي الله عليه وسلّم بحاجة إلى السمو به.

فمن أين أتي بهذا الإستنتاج؟ وهل تسمح النصوص القرآنية الكريمة بأن يستنتج منها هذا الإستنتاج العجيب.

هل إذا كانت الأخلاق غير منحطة، يسمح بدخول بيوت الغير بدون إستذان.

إذا نصح هذا المستشرق ابنه وهو يؤدبه ويعلمه، ألا يدخل على غيره بيته إلا بعد أن يستأذن، أيدل ذلك على انحطاط مستوى أخلاق ابنه؟؟! وعلى انحطاط مستوي أخلاق مجتمعه ؟!.

٤) التفسير بالإسقاط :

وتعني به إسقاط الواقع المعاصر المعاش، على الوقائع الدينية فيفسرونها في ضوء خبراتهم ومشاعرهم الخاصة وما يعرفونه من واقع حياتهم ومجتمعاتهم.

ومن طرائف النفسير بالإسقاط أو الإسقاط في التفسير، ما فسر به المستشرق الأنجليزي "مونتجمري وات" ما كان من خلوة الرسول صلي الله عليه وسلّم، في غار "حراء" وقبيل البعثة، بأنه كان هروباً من حر مكه، وابتراد في رأس الجبل، جبل حراء، حيث كان محمد صلي الله عليه وسلّم فقيرً لا يستطيع السفر إلى الطائف مثل أغنياء قريش.

فهو هنا أمام حدث قديم وقع بمكه، منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، ولكنه يفسره ويعلله، بروح عصره هو، ويسقط عليه مشاعر واتجاهات، وعادات عصره الآن، يفسره وفي ذهنة رحلات المصطافين في عصرنا هذا، وكيف يعدون لها، وينفقون في سبيلها، يفسر هذا الحدث وفي ذهنة قمم الجبال التي يكسوها الجليد والبرد ولم يكلف نفسه، بل لم يستطع أن يدرك واقع المجتمع المكي آنذاك، بل واقع المناخ في مكه، والفرق بين درجة الحرارة في شعاب مكه ورأس جبل حراء، وهل مازال موجودا للآن انخفاضاً ملموساً يجعل محمداً - صلي الله عليه وسلّم – يلجأ إليه؟ لم يذكر أحد قط ممن كتبوا عن مكه وأهلها آنذاك، أن الفقراء كانوا يصطافون بالجبال والأغنياء يصافون بالطائف.

إن الرواية الصحيحة تخبرنا أن النبي صلي الله عليه وسلّم – حبب إليه الخلاء، فكان يذهب إلى غار حراء ينحنث فيه ويظل فيه الليالي ذوات العدد، قبل أن يعود لأهله ليتزود لمثلها.

فكيف يختلي بجبل هو مصطاف الفقراء الوحيد في مكه، أم يا تري كان محمد - صلي الله عليه وسلّم – هو الفقير الوحيد في مكه، فخلا له جبل حراء؟؟؟!.

أم تراه هو الوحيد الذي أدرك السر الخطير، وهو برودة رأس الجبل؟ وضن به على غيره، فلم يشاركه في خلوته بالجبل أحد؟؟.

أم يا تري في مكه حبال بعدد فقرائها، لكل فقير – لايقدر على اسفر إلى الطائف جبل.

ثم أين تقع الطائف من مكة؟؟ ألم يقرأ أن محمداً صلي الله عليه وسلّم ذهب إلى الطائف ماشياً بعد أكثر من عشر سنوات، أي بعد أن كبر سنه، حينما اشتد إيذاء قريش وعنادها، ليعرض الدعوى على شيوخ ثقيف؟!.

ثم كيف يستقيم له هذا الفهم العجيب، والتفسير الغريب "العجز المالي" على الرغم من كلامه في كتابه ص ٧٥:٧٣ عن زواج النبي صلي الله عليه وسلّم – من السيدة خديجة – وثراء خديجة، فهل كانت السيدة "خديجة" رضي الله عنها عاجزة عن إعطاء محمد صلي الله عليه وسلّم – ناقة يسافر عليها إلى الطائف، مع نفقات الإقامة.

ثم لماذا لم يسأل نفسه عن السبب في عدم انتقال – السيدة – خديجة – رضي الله عنها إلى الطائف لتصطاف معه مثل أغنياء مكة؟!.

إن السبب في هذا التفسير العجيب الغريب، هو تصور واقع الصيف والمصطافين في عصرنا هذا من نفقات ورحلات وسيارات وفنادق . . . . إلخ.

ولو حاول أن يستشرف الواقع، في عصر البعثة، ويمثل أحواله، لأدرك أن الأمر على غير ما فسر وقدر، وإنما هو كما روت السيدة خديجة رضي الله عنها كانت الخلوة للتحنث.

٥) <u>منهج العكس :</u>

هو أن ينظر الباحث في النصوص والوثائق والروايات فإذا قالت شيئاً فعليه أن يدرك أن الصواب هو عكسه تماماً – وهذه سمة بحوث المستشرقين – يقول تاجر الدين "دينية" ينتقد أبحاث المستشرقين مبيناً خواء هذا المنهج والخلل فيه "إن منهج العكس هو ذلك المنهج الذي يأتي إلى أوثق الأخبار وأصدق الأنباء فيلقيها – متعمداً – إلى عكسها" وكلما كانت الأخبار أوثق بدت الرغبة في البراعة من ذلك الذي يتبع هذا المنهج وتبني الفكرة التي تقول "البشر يعملون غالباً علي كتمان عيوبهم والظهور بنقيضها".

وهذه الفكرة لا يمكن أن تتخذ كمبدأ عاما، وإلا كنا مضطرين أن نقول أن جميع القديسين إذاً أشرار، وجميع الأنبياء طالحون، وجميع الشجعان جبناء، وجميع الأديان تهريج، ثم يستمر "دينية" في حديثه على فساد هذا المنهج فيقول :-

"إننا لو نظرنا في الأناجيل، من هذه الوجهة واتبعنا هذه "السنة الطريفة" لوجب أن نتناول كل حسنة فيها ونعكسها. . وإذاً لما بقي جديراً بمودة "القسيس" - إلا- "هيرو" و "يهوذ" اللذان يجب أن يرفعا إلى مصاف القديسين الأخيار.

انظر ماذا يقولون على رسول الله صلي الله عليه وسلم – مستخدمين هذا المنهاج المخبول.

من المعروف أن رسول الله صلي الله عليه وسلم –كان يتحنث في غار حراء، ينفرد بنفسه يستجمع ذهنه، وشعورة، منصرفاً كل الإنصراف عن هذا العالم المادي، مستغرقا في التفكير ولكن "لامانس" يعكس ذلك ويقول ويؤكد "أنه صلي الله عليه وسلم "كان يكره الوحدة.

ومن المعروف أيضاً أن صلي الله عليه وسلم خرج من الدينا ولم يشبع من خبز الشعير، وكان يأتي على آل محمد الشهر والشهران، لا يوقد في بيت من بيوتهم نار، وكثيراً من كان قوته إلا التمر والماء، وكان صلي الله عليه وسلم – يعصب على بطنه الحجر من الجوع ومع ذلك فإن "لامانس" يأتي بمنهج العكس.

ويضيف "سيرنا رسول الله صلي الله عليه وسلم " بأنه أكول، وقد كثف جسمه بالملذات ولا يذكر شيئاً عن صوم الرسول لشهر رمضان وأنه كان أكثر ما يصوم الأثنين والخميس، وكان يصوم حتي يظن أنه لا يفطر، وقد كان رسول الله صلي الله عليه وسلم من أكثر المسلمين صوماً.

ولكن القسيس "لامانس" يثبت على عناده ويصر على رأيه !!!

٦) <u>إصدار أحكام قاطعة بغير دليل أصلا :</u>

هم في هذه الحالة يظهرون مهارة فائقة، حيث يصدرون الحكم بصورة قاطعة لا تردد فيها ولا احتمال، وفي جملة واحدة موجزة بدون حشو أو تطويل أو ترادف، يوحون بذلك للقارئ أن المسألة مفروغ منها، وأنها يقين وبديهية من البديهيات.

من ذلك ما ذكره "مونتجمري وات" – وهو يتحدث عن مجتمع المدينة ونظام الزاوج والصداق حيث قال "وما كان يقال في الإسلام : إن المهر كان ملك للمرأة ولكن لم يطبق ذلك" هكذا يطلق الحكم في جملة واحدة "ولكن لم يطبق ذلك" ويمضي مطمئنا، وكأنه لم يصنع شيئا، ولم يتهم

مجتمعاً بأكمله، بأنه لم يطبق شريعة الله التي كان يعيش المجتمع بها ولها، ويقاتل في سبيلها ويجاهد من أجلها.

والذي يعنينا من هذا هو أن نري كيف يقطع الباحث (المنهجي) بهذا الحكم، بدون دليل، فأي بحث هذا، وأي منهج هذا؟.

وقد رسم هذه الأمة المنهجية د/ عماد الدين خليل[1] في كتابه المستشرقون والسيرة النبوية "النفي الكيفي" أو "النفي الإعتباطي" فهي خيانة مكشوفة لمنهج البحث، بل هذا لا يسمي بحثاً ولا يسمى علماً ولا منهجاً.

ويلاحظ – أيضا : أنه ألقى الحكم في جملة واحدة من كلمتين ألحقها بقضية أخري – زيف فيها – الأدلة على وجود المهر وتشريعة أصلا وتجاهل آيات القرآن الكريم والسنة النبوية في هذا،

٧) الإختلاق والتمويه :

هذه آفة الآفات، أن يشير الباحث على مصادر استقى منها معلوماته، ومراجع رجع إليها في بحثه ويعيّنها بالجزء والصحيفة، مختلقاً ذلك اختلاقاً، بدون أن يكون لهذا الإدعاء أدني أصل – ومع هذا ينظر إليه على أنه أبشع من كل ما سبق مما ذكرناه آنفا إلا أنه في الوقت نفسه :-

أقل خطراً من حيث تأثيره الفكري، فإنه سلاح مكشوف، ومكر مفضوح، وبوسع كل قارئ مثقف أن يتناول المرجع، أو المصدر الذي يشير إليه فينكشف له خبؤه ويفتضح عواره، وتسقط قيمته، ولكن الخطر يكمن في الآفات الأخري التي يتعمدون اخفاءها ولا يدركها ويكتشف سرها إلا من كان على علم بأساليب هؤلاء وتمويهاتهم.

ولقد رأينا من المستشرقين من يأتي بالنص من المصدر أو المرجع، فيضيف إليه حرفاً أو يحذف منه حرفاً، أو يبدل منه لفظاً، فإذا المعني قد استحال إلى شيئ أخر، وأصبح ناطقاً بما يريد أن ينطقه الباحث، أما الإختلاق والإدعاء والإفتراء فتلك آفة الآفات.

[1] صـ ١٩

أنهم في أغلب الأحيان يذكرون عيباً واحداً، ويجّودون لتمكينه في النفوس، بذكر عشرة محاسن، وليست لها أهمية كبيرة، وذلك كي يقف القارئ خاشعاً أمام سعة قلوبهم وسماحتهم، ويستسيغ ذلك العيب الواحد الذي يكفي لطمس المحاسن.

وكثير من هولاء المستشرقين يدسون في كتاباتهم مقداراً خاصاً من السم، ويحترسون في ذلك فلا يزيدون على النسبة المعينة لديهم، حتي لا يستوحش القارئ، ولا يثير ذلك فيه الحذر ولا يضعف ثقته بنراهة المؤلف.

فمن ذلك ما نجده عند "مونتجمري وات" حينما يتحدث عن نظام الزواج في الإسلام فيقول فيما قال "ونعلم من الأخبار أن محمداً دافع عن- الشغار - وهو أن يتبادل رجلان أو جماعتان من الرجال بدون مهر بناتاهم أو أخواتهم".

ثم يشير في الهامش مستند ذلك إلى البخاري – كتاب النكاح – مما يوحي بأنه أعتمد في تقرير هذا الحكم – من دفاع محمد صلي الله عليه وسلم – عن الشغار – على البخاري، موهماً القارئ أنه رجع إلى البخاري واستند في ذلك إليه.

والطالب المسلم العادي سيدرك لأول وهلة كذب "موتنجمري وات" في هذا الكلام، فالكل يعرفون تحريم نكاح الشغار شرعاً.

وبالرجوع إلى البخاري في "كتاب النكاح" ورقم الباب الذي عقبة "٦٧" لم نجد شيئاً عن الشغار وإنما هذا الباب من أبواب كتاب النكاح بعنوان "الوليمة حق" وفيه حديث واحد، عن عرس النبي صلي الله عليه وسلم – بزينب بنت جحش رضي الله عنها.

أما الشغار فهو في الباب رقم "٢٨" من أبواب النكاح في البخاري وليس فيه رقم "٦٧" كما زعم "موتنجمري وات".

وإذا تجاوزنا هذا التعليل، وأحسنا الظن، واعتبرناه خطأ مطبعياً، أو سبق قلم، فكيف نتصرف في هذا الموضوع؟، أعني كيف تفسر استدلاله بالبخاري في باب الشغار، وبالبخاري حديث واحد، عن ابن عمر رضي الله عنهما نصه "نهى رسول الله صلي الله عليه وسلم عن الشغار، والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الأخر ابنته ليس بينهما صداق".

وفي اعتقادي أن المستشرق حينما يفعل ذلك، إنما يعتقد أن من يقرأ له من المثقفين الأوربيين لن يفكر في الرجوع إلى المصدر، ولا هو قادر أن يراجعه إن إراد، لأنه عادة ليس من القارئين بالعربية، القادرين على مراجعة مصادرها وأمهات كتبها[1].

ومما سبق يتضح لنا :

فساد منهجهم من جميع نواحيه الشكلية والخارجية ومن حيث تحقيق شروط الإلتزام بقواعده.

ومن هنا ننطلق إلى :

ثانيا : بيان مالهم من وجهة نظرهم ومن يسير في ركابهم.

والرأى الأصوب والأقوم في هذا :

* إن منهج البحث الإستشراقي في العلوم الإسلامية يمثل في حد ذاته جدار منيعا يصده عن الفهم الحقيقي الصحيح للإسلام ونسيجة العام.

* أن الفهم الجاد الصحيح للإسلام الحقيقي يقتضي منهجاً يقوم على ثلاثة أصول :

١) الأيمان بالله مع احترام المصدر الغيبي لرسالة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وحقيقة الوحي الذي يقوم عليه.

٢) اعتماد موقف موضوعي بغير حكم مسبق، يتجاوز كل الإسقاطات التي من شأنها أن تعرقل عملية الفهم الصحيح للإسلام.

٣) الإحاطة بجميع أدوات البحث الصحيح بدءاً من اللغة العربية، وجمع المادة وانتهاء بطرائق المقارنة والموازنة والنقد والتركيب، وللأسف الشديد والحسرة التي تملأ النفوس إذ لم يلزموا أي خطوة من الخطوات السابقة

[1] المرجع السابق ص ١٢٤

إن المستشرقين – عامة يريدون أن يدرسوا الإسلام –درسوه – وفق حالتين تجعلان من المستحيل تحقيق فهم صحيح للإسلام.

فالمستشرق ماديا لا يؤمن بالغيب :

- علمانياً مادياً لا يؤمن بالغيب
- يهودياً أو نصرانياً لا يؤمن بصدق الرسالة التي أعقبت النصرانية، وإذا كان الإسلام بمثابة الدعوة السماوية الأخيرة، جاءت لكي توقف النصرانية المحرّفة عن العمل، وتحل محلها، بما تتضمن من عناصر الديمرمية والحركية والإكتمال.

من أجل ذلك :

تمثل ما سبق جدار فاصلاً يقف بين المستشرقين. . وبين فهمهم للإسلام[1].

* إن المستشرقين ينطلقون في فهمهم للإسلام وفي مناهجهم الدراسية من تفرقة أساسية بين الشرق والغرب، فالشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا، فالغربيون حقليون محبون للسلام، متحررون منطقيون وقادرون على اكتساب قيم حقيقية، أما الشرقيون فليس لهم من ذلك كله شئ "نظرة عنصرية".

* يعمد ويتعمد المستشرقون في تناولهم للإسلام إلى تطبيق مقاييس مناهجهم المسيحية على الدين الإسلامي وعلى نبيه صلي الله عليه وسلم، فالمسيح – في نظر المسيحيين هو أساس العقيدة المسيحية ولهذا تنسب المسيحية إليه.

وقد طبق المستشرقون ذلك على الإسلام واعتبروا محمد بالنسبة للمسلمين ما يعنيه المسيح بالنسبة للمسيحية – فالمسيح – على حد زعمهم – إله – و محمد – بشر – مصلح وليس نبياً.

ولهذا أطلقوا على الإسلام اسم المذهب المحمدي لإعطاء الإنطباع بأن الإسلام دين بشري من صنع محمد وليس من عند الله[1].

[1] انظر بالتفصيل المستشرقون والسيرة النبوية أ.د / عماد الدين خليل صـ ١٠ وهذا الكتاب قيم نوصي بقراءته

هل بعد ذلك كله يرجي الخير من ورائهم والجري واللهث وراء مناهجهم وعلومهم؟..

" وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ"[٢].

" وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[٣].

إن أعمال المستشرقين لايمكن أن توصف بأنها أبحاث، ولا بأنها علمية ولكن هناك عدة أسئلة تفرض نفسها يجب أن نجيب عليها ولو بإيجاز شديد.

* هل هناك مستشرقون منصفون – غير من هداهم الله إلى الإسلام؟..

* هل يلام المستشرقون على ما قاموا به من أعمال، وما بذلوه من جهود في سبيل هذه الدراسات – والأبحاث التي قدرت بستين ألف أو تزيد؟

ثم :-

* هل للمستشرقين فضل على تراثنا، بما قاموا به من حفظ وصيانة ما استولوا عليه من مخطوطات، ثم ما بذلوه من جهد في فهرسته وتحقيقه ونشره؟

* إن هولاء الأساتيذ "المستشرقين" لم يأخذوا العلم عن شيوخه، وإنما تطفلوا عليه تطفلا، وتوثبوا فيه توثبا، ومن تخرج فيه بشئ، فإنما تخرج على القس، ثم أدخل رأسه في أضغاث أحلام أو أدخل أضغاث أحلام في رأسه وتوهم أنه يعرف شيئاً وهو يجهله، وكل منهم إذا درس في إحدي لغات الشرق أو ترجم شيئاً منها تراه يخبط فيها خبط عشواء، فما اشتبه عليه منها رقعه من

---

[١] انظر بالتفصيل "الإسلام والغرب" أ.د/ محمود حمدي زقزوق صـ ٢٥:٢٧

[٢] سورة البقرة آية رقم ١٢٠

[٣] سورة البقرة آية رقم ١٠٩

عنده بما شاء، وما كان بين الشبهة واليقين حدس فيه وخمن فرجح منه المرجوح وفضل المفضول[1].

* يقول المرحوم الشيخ محمود شاكر "الإستشراق لا يذم، لأنه فعل كل ذلك، لأنه بلا شك قد أدي ما عليه لبني جلدته أحسن أداء، وأتمه، ونصر أهل دينه، وأخلص لهم كل الإخلاص، وكافح في سبيل هدفه بكل سلاح، أجاد صقله، وتقويمه.

أما الذي هو حقيق بالذم والمعابة، فالعربي أو المسلم العاقل الذي يظن نفسه عاقلاً أو البصير منا الذي يظن نفسه بصيراً، ثم لا يكاد عقله يدرك شيئاً هو أبين بياناً من البدائة المسلمة، ولا يكاد بصره يرى ما هو أظهر ظهوراً من الشمس الساطعة"[2].

* لا تصدق من يقول لك إن الإستشراق قد خدم اللغة العربية، وآدابها وتاريخها، وعلومها، لأنه نشر هذه الكتب التي اختارها مطبوعة، فهذا وهم باطل كانوا لايطبعون قط من أي كتاب نشروه أكثر من خمسمائة نسخة، ولم تزل هذه عادتهم إلى يومنا هذا، توزع على مراكز الإستشراق في أروبا وأمريكا، وما فاض بعد ذلك وهو قليل جدا –كانت تسقط منه إلى بلاد العرب و المسلمين النسخة والنسختان، والعشرة على الأكثر، لم يسعوا قط إلى تسويقها بين ملايين المسلمين كما يسوقون بضاعتهم وتجارتهم وسائر ما ينتجون بين هذه الملايين طلباً لربح المال[3].

* أضف إلى ذلك :-

إن عنايتهم بالتراث كانت – ومازالت – وستظل من باب "إختراق العقلية الإسلامية" للسيطرة عليها والتبعية المطلقة لهم، هم يوجوهوننا إلى معرفتها بنشرها تمهيداً لتمزيقنا وتدميرنا[4].

---

[1] الإستشراق والمستشرقون – ما لهم وما عليهم، أ.د / مصطفي السباعي / ١٣

[2] انظر كتاب المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي صـ ١٢٦

[3] انظر كتاب المنهج في كتابات الغربين عن التاريخ الإسلامي ص ١٢٦

[4] انظر المشكلة برمتها في الكتاب القيم "المستشرقون والتراث" أ.د/ عبدالعظيم ص ١٩ وما بعدها

* وأيضا من باب "اعرف عدوك" فهذه الكتب التراثية، هي الخرائط والصور لعقولنا وعواطفنا، ومشاعرنا، واتجاهاتنا، واهتماماتنا، وحبنا وبغضنا ورضانا، فهي المفاتيح التي عرفوا بها كيف يخططون لتدميرنا ثقافياً، واجتماعياً، وفكرياً، وعلمياً، بعدما حطمونا عسكريا، وحربياً، وسياسيا.

* ومن أعجب العجب أن تجد أمة – مثل أمتنا – نشكر ونمجد، ونعظم أمر سارقي وثائقنا لمجرد أنهم احتفظوا بها، أو قدموا إلينا صورة منها.

* لا ننكر أننا استفدنا من أعمال المستشرقين في مجال التراث، فذلك أمر واضح للعيان لا ينكره إلا مكابر.

ولكن هذه الإستفادة عرضية – تشبه تماماً استفادة أهل الهند وأهل مصر من المنشأت التي أقامها المستعمرون، فقد شقوا في الهند الطرق، وأنشأوا السكك الحديدية لنهب خامات الهند وثرواتها، وأقاموا في مصر القناطر والسدود، وأصلحوا الترع والقنوات من أجل تزويد مصانعهم في "مانشتر" بالقطن المصري، فهل يقتضي ذلك أن الهندي إذا ركب قطار السكة الحديدية ذكر الإستعمار وشكره، وأن المصري إذا استقي من الترع والقنوات سبح بحمد "كرومر" ومجد عمله، والإستعمار الذي كان يمثله.

ولكنه الإفساد الثقافي، والتدمير الفكري الذي تعرضت له أمتنا[1].

[1] المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي صـ ١٢٨

إننا في هذه الدراسة التقويمية الغرض منها بيان الآتي :

* إننا لا نعيش تحت رحمة رد الفعل كلما ادعوا شبهة نفرغ للرد عليها، ثم تستنفذ قوتنا وندخل في عيبوبة علمية، حتي إذا فقنا منها فوجئنا بأخري – لا.

* إننا يجب أن نتحرر من "رد الفعل" إلى "الفعل" ذاته، إلى المواجهة الشاملة، لأننا نملكها والحمد لله.

* أول مواجهة هي القضاء على منهاجهم الذي يسمي بالعلمي – المنهاجي الموضوعي – الذي بناء عليه درسوا الإسلام وأدعوا عليه هذه الدوعاوي الباطلة.

فإذا استطعنا القضاء عليه ومواجهته وبيان خلله وخواره قضينا على الشبه المترتبة عليه.

وهذا ما بينته هذه الدراسة الموجزة، لأن التدليل على فساد المنهج، يغني عن متابعة النواتج الفكرية وينزع عنها صفة العلمية والحياة بشكل عام[1]، ولأن هؤلاء المستشرقين كما يقول أ.د/ عبدالعظيم الديب في كتابه القيم "المستشرقون والتراث[2]" لقد نقلنا المستشرقون إلى ارسطو، على حين نقلوا انفسهم وقومهم إلى مناهج المسلمين وعلومهم.

إن نقد المنهج الذي التزم به المستشرقون في معالجة القضايا الإسلامية، هو خطوة حاسمة وضرورية للقضاء على تخرصاتهم الفرعية الجزئية، لأن "مناقشة المستشرقين على مستوي التفاصيل والجزئيات لا تعني شيئاً، لأنها ستكون بمثابة نقد موقوت يتحرك على السطح، ويستهلك نفسه في الجزئيات، دون أن يبحث في الجذور العميقة التي تظل تنبت الشوك.

والجذور العميقة هي المنهج الخاطئ الذي تقوم عليه أبحاث هؤلاء المستشرقين فإذا استطعنا أن نضع أيدينا على عيوب المناهج وشروطه استطعنا معرفة المنبع الذي يتمخض عنه تيار الأخطاء الموضوعية، وخلخلة الأسس التي جاءت بهذه الثمار المرة واقتلاعها".

وهذا ما بيناه – والحمد لله في دراستنا هذه.

---

[1] انظر مقدمة كتاب الأمة رقم (٢٧) بقلم العلامة عمر حسن طه / ٣٠

[2] صـ ١٩

وتحولنا بها من رد الفعل السلبي الذي عشقناه وعشنا في ذل التبعة له إلى العقل الإيجابي وقد أتينا على البينان من أساسه وإن كان موجزاً.

- نظراً لضيق الوقت وستخرج بإذن الله تعالي دراسة قريبا تفصل ذلك.

وإذا كنت قد بينت في ما سبق شبههم المدعاه، وتخرصاتهم المصطنعة، فمن باب أنها موجودة على أرض الواقع بالفعل وربما يتأثر بها كثير من الناس وكثير منهم لا يطلعون على منهاجهم ولا يستطيعون مواجهتهم من أجل وقف هذا التيار الجارف.

إن بحوث المستشرقين أمر واقع وهي تغطي الإسلام وقضاياه وتفرض ثقلها في الدوائر الأكاديمية والتخصصية العامة.

ومن أجل ذلك لا بأس أن نتعامل معها على هذا الأساس وليس أبداً على اعتبار أنها صيغة مقبولة للتعامل الدراسي للإسلام وقضاياه.

ومن أجل إلا يختلط الحابل بالنابل والأسود بالأبيض وتمرر على العقل المسلم معطيات المستشرقين المنحرفة وأخطاؤه المكشوفة أو المستترة، كان لابد من تقديم الدراسات النقدية لهذه المعطيات، لتكون بمثابة إنارة للمسلمين في هذا الدرب المعتم الطويل.

* الإنتقال بالدراسة من رد الفعل السلبي وهو الموجود فعلاً في دراستنا للدعاوي الباطلة ودحضها إلى الفعل الإيجابي، لأننا نملك – فعلا – مقوماته وأبعاده وهو ما قامت به الدراسة ولو بإيجاز نظراً لضيق الوقت ولو على الأقل لفتح الباب أمام الباحثين ليتناولوا هذا الموضوع باستفاضة.

* ثم بعد ذلك الإنتقال بعد أن قضينا على أسس منهاج المستشرقين المسمي بالعلمي والموضوعي والمنهاجي وأثبتنا عواره وبينا وكشفنا خلله ووضحنا سرابه، لا يصح أن يسمى علماً صحيحاً ولا موضوعياً سليماً، ننتقل بعد ذلك إلى مرحلة ثالثة.

* زيف أفكارهم ومبادئهم وأسس علمهم وأصول منطلقاتهم – في مرحلة تالية – إن شاء الله تعالي – ونحولهم من الفعل الإيجابي إلى ردالفعل السلبي، من مرحلة الهجوم إلى مرحلة

الدفاع إلى مرحلة التسليم- بإذن الله تعالي – وبذلك تسترد الأمة ذاتيتها وتعود إليها هويتها، لأنه.

ماذا بعد الهوية، وضياع الشخصية

وما قيمة الأمم وما قيمة حياتها؟

إذا فقدت ذاتيتها وذابت هويتها

هل لها من قيمة بعد ذلك وهل لها من حياة

بعد العولمة بكل أبعادها والإنترنت بجميع محتوياته؟

إننا نريد أن نسترد بضاعتنا وتراثنا الذي سلب منا على غفلة وسهو نعود بهم إلى منطقة أرسطو – وننتزع منهم منهاجنا وعلومنا التي بنوا عليها حضارتهم ثم تنكروا لنا ولها، فبدل أن يردوا الجميل قطعوا اليد التي مدت إليهم هذا الجميل.

فبدل المقولة القائلة "لقد نقلنا المستشرقون إلى أرسطو، على حين نقلوا أنفسهم وقومهم إلى مناهج المسلمين وعلومهم".

نقول . . لا . . لا. . لا .....

نقول لهم عودوا إلى – أرسطو – ومنهاجه العقيم واتركونا ومنهاجنا وعلومنا وكفي ما كان.

هذا والله وحده أعلى وأعلم

وبه وحده الهداية والتوفيق.

المراجع

- **الأحكام في أصول القرآن**

تأليف الشيخ العلامة سيف الدين أبي الحسن بن أبي على بن محمد الأحمدي

مؤسسة الحلبي وشركاه – القاهرة – ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م.

- **الإستشراق في السيرة النبوية**

د/ عبدالله محمد الأمين النعيم

ط(١) ١٤١٧ هـ ١٩٩٧م ، المعهد العالي للفكر الإسلامي

- **الإسلام والغرب**

أ.د/ محمود حمدي زقزوق

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

- **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**

المرحوم الشيخ الدكتور / مصطفي السباعي

المكتب الإسلامي – دمشق – سوريا ط(٢) ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

- **السنة قبل التدوين**

أ.د/ محمد عجاج الخطيب ط(٥) ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

دار الفكر – بيروت - لبنان

- **السيرة النبوية لابن هشام**

حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها م/مصطفي السقا وآخرون

ط(٢) ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي - وأولاده – مصر – ج.م.ع

- **إرشاد الفحول**

إلى تحقيق الحق من علم الأصول

تأليف محمد بن على بن محمد الشوكاني ت ١٢٥٥هـ

ط(١) ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م

مطبعة مصطفي البابي الحلبي

- **أصول الفقه**

د/ زكي الدين شعبان ط(٢) ١٩٥٧م – ١٩٥٨ م

دار الكتب الحديثة

- **أوربا والإسلام**

الدكتور عبدالحليم محمود

سلسلة الثقافة الإسلامية رقو ٧- ١٣٧٨هـ - ١٩٠٩م

- **البداية والنهاية**

لشيخ الإسلام الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بم كثير القرسي الدمشقي ت ٧٧٤هـ

ط(١) دار

- التآمر على التاريخ الإسلام الغد العربي – العباسية – القاهرة – ج. م.ع

- **التآمر على التاريخ الإسلامي**

طبيب صيدلي / أبو الوفا أحمد عبدالآخر

ط(١) ١٤٠١هـ - ١٩٩٠م.

- **التفسير الكبير**

تفسير الفخر الزاري

للإمام محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء عمر الشهير بخطيب الري وبهامشة الإمام أبي مسعود

دار الفكر – بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

- **الجامع لأحكام القرآن**

لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري

دار الكتاب العربي للطباعة والنشر – القاهرة – ج.م.ع

ط(٣) ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

- **تاريخ الملوك والأمم**

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

دار الفكر – بيروت – لبنان – ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م.

- **جامع البيان عن تأويل القرآن**

تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ

مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي

ط(٣) ١٣٨٨هـ - ١٩٨٦م.

- **دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه**

أ.د/ محمد مصطفي الأعظمي

ط(٣) ت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

رابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية.

- **ديوان أمية بن أبي الصلت**

جمع وتحقيق ودارسة د/ عبدالحفيظ السلطي

ط(٢) ١٩٧٧

دمشق - سوريا.

- **صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري أبو الحسن حافظ**

بشرح النووي – للإمام يحي بن شرف مري حسن بن حسين بن حزام النووي الشافعي أبو زكريا محي الدين

تحقيق عبدالله أحمد أبو زينة

دار الشعب – القاهرة – مصر ج.م.ع

- **الظاهرة الإستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية**

أ.د/ سامي سالم الحاج

مركز دراسات العالم العربي

ط(٢) ١٩٩٣م

- **العقيدة والشريعة في الإسلام**

جولد تسهير

ترجمة أ.د/ محمد يوسف موسي وأخرين ط١(٢)

دار الكتب الحديثة

القاهرة – مصر

- **عمدة القارئ شرح صحيح البخاري**

للإمام العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، ٧٦ هـ - ٨٥٥م.

مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي

ط(١) ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.

- **فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري**

للإمام أحمد بن على بن حجر العسقلاني ٧٧٣ هـ - ٨٥٢م

المطبعة السلفية – الروضة – القاهرة - مصر

- **الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير**

وهما لجلال السيوطي

دار الكتب العربية الكبري – مصطفي البابي الحلبي ١٣٥٠م.

- **قواعد التحديث من فنون مصطلح الحدبث**

العلامة محمد جمال الدين القاسمي

دار الكتب العلمية – بيروت - لبنان

- **الكشاف – حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التنزيل**

تأليف أبي القاسم جاد الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ٤٦٧ – ٥٣٨ هـ الطبعة الأخيرة ١٣٨٥هـ – ١٩٦٦م.

- **كشف الحق ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث عل ألسنة الناس اللمفسر المحدث**

الشيخ إسماعيل بن محمد العجلواني – ت : ١١٦٢ م

مكتب التراث الإسلامي

حلب – دمشق -سوريا

- **الكفاية في علم الرواية**

تصنيف الإمام الحافظ المحدث أبي بكر أحمد بن على بن ثابت

المعروف بالخطيب البغدادي

دار الكتب الحديثة ط(١)

- **لقط اللالئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة**

تصنيف العلامة أبي الفيض محمد مرتضي الحسين الزبيدي

تحقيق محمد عبدالقادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان

ط(١) ١٤٠٥هـ - ١٩٨٠ م.

- **مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**

الإمام محمد بن عبدالباقي الزرقاني ت:١١٢٢م

تحقيق د/ محمد بن لطفي الصباغ

المكتب المصري الحديث – المملكة العربية السعودية – ط(٢) ١٤٠٣ هـ -١٩٨٣م

- **مروج الذهب ومعادن الجوهر**

لأبي الحسن على بن الحسن بن على المسعودي ت: ٣٤٦ هـ

تحقيق العلامة محمد محي الدين عبدالحميد

المكتب الإسلامي – بيروت - لبنان

- **المستشرقون والتراث**

أ.د/ عبدالعظيم الديب – الوفا للطباعى والنشر

ط(٢) ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

القاهرة - مصر

- **المستشرقون والسيرة النبوية**

أ.د/ عماد الدين خليل

دار الثقافة – الدوحة – قطر ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩م

- **مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية**

ا.د/ ناصر الدين الأسد

دار المعارف ط(٥) ١٩٧٨

القاهرة – مصر

- **المفصل في تاريخ العرب**

أ.د/ جواد على

دار العلم للملايين – بيروت ط(٢) ١٩٧٦م

- **مقدمة ابن خلدون**

المكتبة التجارية الكبري – القاهرة - مصر

- **المنار**

تصنيف الإمام العلامة المحقق أبي عبدالله محمد بن أبي بكر قيم الجوزية ١٥٢-٦٩١ م

مطبعة السنة المحمدية

- **مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية**

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

مكتب التربية العربي لدول الخليج

- **منهج النقد في علوم الحديث**

أ.د/ نور الدين عنتر

دار الفكر الموجز – بيروت – لبنان ط(٢) ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م

- **المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي**

أ.د/ عبدالعظيم محمود الديب

كتاب الأمة رقم ٢٧ ط(١) ١٤١١هـ - ١٩٩٠م

الدوحة - قطر

- **هدي الساري مقدمة فتح الباري**

بشرح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري

للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني

٧٧٢هـ - - ٨٥٢م

المطبعة السلفية – القاهرة – مصر (١٣٨٠ ق)

- **وحي الله**

حقائقة خصائصة في الكتاب والسنة

نقض مزاعم المستشرقين

د/ حسن ضياء الدين عنتر

سلسلة دعوي الحق رقم ٢٨ رجب ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

رابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية

مقدمة ٢
المستشرقون و القرآن الكريم ٥
تعريف القرآن الكريم، بيان خصائصه، بيان شبهه المستشرقين حول القرآن الكريم ٥
المستشرقون ومصدر القرآن الكريم ٨
أولاً : عوامل داخلية : ٨
مواجهة دعاوي وشبه المستشرقين (تخرصات المستشرقين) ١٠
ثانياً : العوامل الخارجية : ٢٢
ما يستنتج من كل ما سبق ٢٤
المستشرقون والسيرة النبوية: ٤١
أقسام السنة عند علماء الإسلام ٤١
المستشرقون والسنة النبوية "الحديث النبوي" ٤٥
أولا : المقدمة "أقسام السنة عند علماء الإسلام" ٤٥
ثانيا تحديد الشبهة المراد دراستها ومواجهتها : ٤٦
تحديد شعب الشبهة الثلاث ٤٧
ثانياً : تحديد الشبهة المراد دراسنها ومواجهتها: ٥٣
الشعبة الأولي : وضع "اختلاق" الأحاديث : ٥٦
الشعبة الثانية : البعد الخارجي للحديث "الإسناد" ٥٧
الشعبة الثالثة :النقد الداخلي للحديث "متن الحديث" ٥٧
الشعبة الأولي : وضع الحديث ٦٠
الشعبة الثانية من الشبهة ٧٨
نظرة تقويمية للمستشرقين ١٠٢
أولا : بيان ما عليهم، من مآخذ: ١٠٤
بيان الخلل في مناهجهم العلمية. ١٠٥
أولا : خيانتهم للمنهج العلمي من حيث الشكل : ١٠٨
ثانياً : من حيث استكمال شروطه، والإلتزام بقواعده (خيانة المنهج من حيث شروطه وقواعده) ١٠٨
ثانيا : بيان مالهم من وجهة نظرهم ومن يسير في ركابهم. ١١٩
الغرض من الدراسة : ١٢٤
المراجع ١٢٧